جامعة الأزهر
كلية البنات الإسلامية
بأسيوط

المجلة العلمية

تنوُّعُ المُشبَّه به في وَصْف كَلَام المَحْبُوبَة في العَصْر العَبَاسي

(دراسَة تحليلية مُوازنَة)

إعداد

د/ علَى مَحْمود عبَّاس مُوسَى

مُدرس بقسم البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

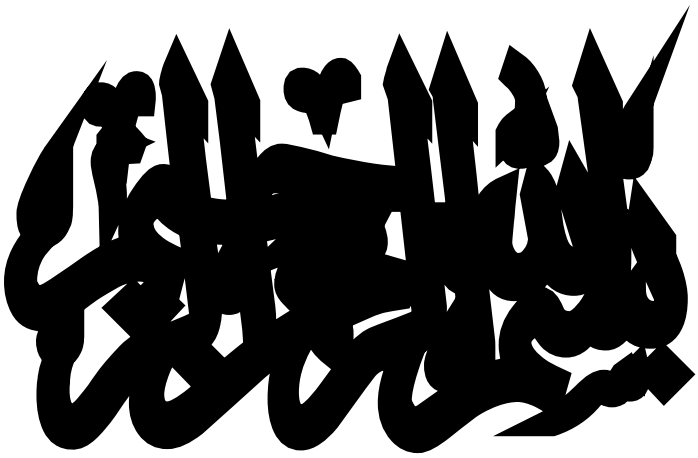

" بدأت أشتغل بدرس البلاغة العربية ، وما البلاغة إلا البحث عن جمال القول ، وكيف ؟ وبم يكون ؟ وهذه البلاغة هي روح الأدب ، والأدب جسمها ومادتها : تعلم صنعه وتبصر بنقده "

أمين الخولي ـ مناهج التجديد ص ٣٢٣ .

ملخص البحث باللغة العربية

الحمد لله ربّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

جاء بحث تنوع المشبه به في وصف كلام المحبوبة في العصر العباسي . (دراسة تحليلية موازنة) نتيجة قلّة الدِّراسات البلاغية التي اعتنت بدراسة التشبيهات ذات الموضوع الواحد خاصَّة ، مع كثرة الدِّراسات التي اعتنت بدراسة تشبيهات الشاعر جملة .

وقد وضعت الدراسة على عاتقها استنطاق التشبيهات لاستنباط ما تكنّه في ذاتها ، وذلك من خلال تحليلها تحليلا بلاغيا يبرز جماليات التراكيب على تنوعها وتعدد طرقها ، ويبين دقائق مفرداتها ، وحاولت كذلك الموازنة بين الشعراء في المعنى المشترك بينهم ، موازنة تبرز مواطن الإجادة ، ومواطن القصور عندهم ، وبينت منازع شعراء بني العباس في تشبيهاتهم المختلفة لكلام المحبوبة ، وبيان سمت التشبيه وخصائصه في هذا الصَّدد .

ولما كان تطبيق المنهج الاستقرائي الكامل في جمع شواهد الدراسة أمرا في غاية الصعوبة ، فقد اتكأتْ الدراسة على منهج الاستقراء الناقص ، حيث انتخبتْ الدراسة شواهدها مما وقعت عليه عين الباحث ، وهو أمر ليس باليسير ، فقد تقرأ شعر الشاعر بأكمله ، ولا تجد فيه شاهدا واحدا يخدم غرضك أو يحقق هدفك .

وقد جاء البحث في ثلاث مباحث :

المبحث الأول: تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بالحلاوة والاستطابة في العصر العباسي .

المبحث الثاني : تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بالحسن والعذوبة في العصر العباسي .

المبحث الثالث : تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بشدة التأثير في النفوس في العصر العباسي .

ورصدت الدراسة نتائج عدة منها :

١ . أن المرأة في كل عصر ومصر وسيلة مهمة من وسائل الوحي والإلهام الشعري ، ورافد رئيس من روافده ، بما تُثيره من أحاسيس ومشاعر وعواطف جياشة لدى أولئك الشعراء الذين يشعرون بسحر جمالها وأنوثتها .

٢ . وبيَّنت هذه الدِّراسة منازع شعراء بني العباس في تشبيهاتهم المختلفة لكلام المحبوبة ؛ إذ أبرزت هذه الدِّراسة أنَّهم قد استلهموا مظاهر الطبيعة في صورهم التشبيهية ، وفي تجسيدهم لانفعالاتهم المختلفة ، وأنَّ الطبيعة كانت في ذاكرتهم وأفئدتهم يستحضرون منها المشاهد والصور متى احتاجوا إلى ذلك.

English research summary
abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the honorable messengers of our master Muhammad and his
family and companions and those who followed them with charity to the Day of Judgment،

The study of the diversity of the subject in the description of the words of the beloved in the Abbasid period (a study of analytical balance) due to the lack of rhetorical studies, which took care to study the similarities with the same subject, especially with the large number of studies that consider the study of the poet's analogues sentence.

The study focused on the analysis of the similarities to the development of what is in itself, through analyzing a rhetorical analysis highlighting the aesthetics of the compositions on the diversity and multiplicity of ways, and showing the minutes of its vocabulary, and also tried to balance the poets in the common sense, The poets of the sons of Abbas in their different likenesses of the words of the beloved, and a statement of similarity and characteristics in this regard.

Since the application of the full extrapolation method in the collection of evidence of the study is very difficult, the study is based on the method of extrapolating the missing, where the study elected evidence from what was signed by the eye of the researcher, which is not easy, you may read the poet's entire poetry, Your purpose or achieve your goal.

The research came in three sections:

The first topic is entitled: The diversity of the likeness in describing the words of the beloved sweetness and seduction in the Abbasid era.

The second topic: the diversity of the likeness in describing the words of beloved and good in the Abbasid era.

The third topic: The diversity of the likeness in describing the words of the beloved strongly influenced the souls in the Abbasid era.

The study revealed several results: Women in every age and Egypt are an important means of revelation and inspiration poetry, and the head of the tributaries, the feelings of emotions and feelings of those poets who feel the charm of beauty and femininity. This study shows that the poets of the sons of Abbas are different in their different likenesses to the words of the beloved. The study highlighted that they were inspired by nature in their metaphorical images, in their embodiment of their different emotions, and that nature was in their memory and their elves evoke scenes and pictures when they need it.

بسم الله الرحمن الرحيم

تنوع المشبه به في وصف كلام المحبوبة في العصر العباسي

(دراسة تحليلية موازنة) .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

تختلِف العُصُور ، وتتعاقب الأيَّام ، وتظلُّ المَرأة معشُوق الرَّجل ومَلاذه الذي تسْكن إليه نفسُه ، حيث يراها دائمًا الحِمى الدَّافئ ، والوطن الآمِن ، يبشّ لرؤيتها ، ويسعد لقُربها ، ويحِنّ لحسن حديثها ؛ لله درّ أبي تمام [1] القائل :

تعطيكَ منطقها فتعلمُ أنَّه ∴ لجنى عذوبتهِ يمرُّ بثغرها [2]

فحديث المرأة عذب ، رقيق ، تهفو إليه القلوب ، يشنِّف الأسماع ويستعبدها ، ويسترقّ الأفهام ويتملكها ، ويدخل الآذَان بلا استئذان .

يقول أحدهم :

وكنتُ إذا ما زرتُ ليلى بأرضها ∴ أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدها

---

(1) هو : أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) عام ١٨٨ هـ ورحل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ، ثم ولي بريد الموصل ، فلم يتم سنتين حتى توفي بها عام ٢٣١ هـ . له تصانيف منها : فحول الشعراء و ديوان الحماسة .

ينظر : الأعلام للزركلي ٢ / ١٦٥ . ط : دار العلم للملايين . ط : الخامسة عشرة . ٢٠٠٢ م .

(2) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي . قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر ٢ / ٢٧١ . ط : دار الكتاب العربي . بيروت . ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م .

مــن الخفــراتِ البــيضِ ودَّ جليســها ∴ إذا مـا انقضت أحدوثـةٌ لـو تعيـدها [1]

ثمَّ إنَّ التشبيه لون مِن ألوان التعبير الذي تعمد إليه النُّفوس بالفطرة ، حين تسوقها الدواعي إليه .. فهو مِن الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولا لغة؛ لأنَّه من الهبات الإنسانية ، والخصائص الفطرية ، والتراث المُشاع بين الأنواع البشريَّة جميعا [2]

ومن ثمَّ كانت هذه الدِّراسة ، والتي بعنوان : تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة في العصر العباسيّ (دراسة تحليلية موازنة) .

وقد حفزني لهذا الموضوع عدة أمور ، مِن بينها :

أولا : بَكَارة الموضوع ، فلم تقع عيني على دراسات اتخذت من الحديث عن وصف كلام المحبوبة في العصر العباسيّ أساسا لها .

ثانيا : قلّة الدِّراسات البلاغية التي اعتنت بدراسة التشبيهات ذات الموضوع الواحد خاصَّة ، مع كثرة الدِّراسات التي اعتنت بدراسة تشبيهات الشاعر جملة .

ثالثا : جودة شعر الغزل من بين الأغراض الشعرية ، حيث يبين لكل ذي عينين مدى اهتمام الشعراء به في كل عصر ومصر .

هذا ، وقد كان منهج الدِّراسة على النحو الآتي :

---

(١) ينسب البيت لكثير عزة في : اتفاق المباني وافتراق المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي . ت : يحيى عبد الرؤوف جبر ص ١٢٨ . ط : دار عمار . الأردن . ط : أولى . ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م

(٢) ينظر : فن التشبيه للشيخ علي الجندي ص ٤٣ بتصرف .

أولا : جمع شتات التشبيهات التي تعرَّضت لوصف كلام المحبوبة في العصر العباسي من مظانِّها .

ولما كان تطبيق المنهج الاستقرائي الكامل في جمع شواهد الدراسة أمرا في غاية الصعوبة ، فقد اتكأتْ الدراسة على منهج الاستقراء الناقص ، حيث انتخبتْ الدراسة شواهدها مما وقعت عليه عين الباحث ، وهو أمر ليس باليسير ، فقد تقرأ شعر الشاعر بأكمله ، ولا تجد فيه شاهدا واحدا يخدم غرضك أو يحقق هدفك .

ثانيا : تقسيم التشبيهات إلى سياقات فرعيَّة ، فهذا في وصف حلاوة كلام المحبوبة ، وهذا في وصف حسنه وجماله ، وهكذا .

ثالثا : محاولة استنطاق التشبيهات لاستنباط ما تكنّه في ذاتها ، وذلك من خلال تحليلها تحليلا بلاغيا يبرز جماليات التراكيب على تنوعها وتعدد طرقها، ويبين دقائق مفرداتها .

رابعا : محاولة الموازنة بين الشعراء في المعنى المشترك بينهم ، موازنة تبرز مواطن الإجادة ، ومواطن القصور عندهم .

خامسا : بيان منازع شعراء بني العباس في تشبيهاتهم المختلفة لكلام المحبوبة ، وبيان سمت التشبيه وخصائصه في هذا الصَّدد .

هذا وقد اقتضى منهج البحث أن تكون خطة الدراسة في مقدمة وتمهيد وعدة مباحث ، وذلك على النحو الآتي :

أمَّا المقدّمة : فقد اشتملت على أهمية البحث في هذا الموضوع ، والأسباب التي كانت وراء البحث فيه ، ومنهج البحث ، وخطته .

وأما التمهيد : ففيه حديث وجيز عن مكانة التشبيه من علم البيان .

وأمَّا المبحث الأول فهو بعنوان : تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بالحلاوة والاستطابة في العصر العباسي .

المبحث الثاني : تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بالحسن والعذوبة في العصر العباسي .

المبحث الثالث : تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بشدة التأثير في النفوس في العصر العباسي .

ثمَّ جاءت الخاتمة لتسجل أبرز النتائج .

هذا ، وأسأله سُبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، إنَّه سميع مجيب . وصلَّى الله وسلَّمَ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدِّين . ﴿ ❻◆❻✸✡□✍ •• ✍➔❽▩▫
❶❍❍ ⍓⑨✍➔◆✍ ✍□✡◆✍❑➔❶➔🔔
♎⍓⑨⍓③☺✍⍓⑨⍓♎ ✍□✡□☺✍③⍓⑨⍓♎ ✍□✡◆❍✦๑ ⇔❶⍓♎◆❒ ✍◆❍✦๑ ✎❍❍Ⅱ
✐✍⍋→✡☼❐🕮 ⍓📻☼✍ ❻◆❍☺⇳○◆❻ ⍓📻□✡❍❍ 🗐 ❍□⍓☺⇳○◆❻ ⍓📻☼→✍ ✐ ✹
✂✍๑❍❑◆♎✍□♎◆❑❍๑✍✂ ﴿ ➲✇✍□♎◆❑❍๑✍✂ ﴾ (سورة آل عمران : آية ٨) .

تمهيد
التشبيه ، ومنزلته من علم البيان

مدخل

التشبيه ، ومنزلته من علم البيان

يظلُّ التشبيه من بين فنون البلاغة منارة البلغاء ، وكعبة الفُصحاء ؛ ذلك لأنَّ واديه خصب وفير ، وساحته فسِيحة رحبة ، فهو لأصحاب البيان البحر الزَّاخر ، والنِّبراس السَّاطع ، قلَّما يخلو منه لبليغٍ كلام ؛ إذ هو مِن فنون البلاغة بمنزلة الرأس من الجسد ، ومحل العين من الرأس ، ومكان الغرَّة من الجَبين ، وعين اليقين أنَّه يتقاصر عنه كل باب مِن أبوابها ، ولا يُزاحمه غيره . وإن علا . في مَوضعه .

التشبيه في اللغة : معناه التمثيل ؛ ففي اللسان : " الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ ، والجمع أَشْباهٌ ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله .. وأَشْبَهْتُ فلاناً وشابَهْتُه، واشْتَبَه عَلَيَّ ، وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها أَشْبَهَ كلُّ واحدٍ صاحِبَه " [1]

وفي الاصطلاح ؛ عرَّفه الخطيب بأنَّه: " الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى .. ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد ، فدخل فيه كلّ ما يسمى تشبيها بلا خلاف " [2]

---

(1) لسان العرب . مادة (شبه) . ط : دار صادر . بيروت . ط : أولى . د ت .

(2) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني . تح : بهيج غزاوي ص ٢٠٣ . ط : دار إحياء العلوم . بيروت . ط : الرابعة . ١٩٩٨ م .

والتشبيه طريق بياني من أرفع أبواب علم البيان ، وأعلاها منزلة ، وأسماها قدرا ، قال عنه ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) : "إنَّه مقتل مِن مقاتل البلاغة" (١)

وقال عنه العلوي (ت ٧٠٥ هـ) إنَّه " بحر البلاغة ، وأبو عذرتها ، وسرها ولبابها ، وإنسان مقلتها " (٢)

وهو يدور على ألسنة العامة في كلامهم ، ويجري كثيرا في بيان الفصحاء ، فقد عَدَّه المبرد (ت ٢٨٦ هـ) من أكثر كلام العرب حيث قال : " والتشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يُبْعد"(٣)

وقال أيضا : " والتشبيه باب كأنَّه لا آخر له " (٤)

وكيف يجري الحديث عن مكانة التشبيه ومنزلته ، ولا يحضر قول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ : " وهل تشكُّ في أنَّه يعمل عمل السِّحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشئم والمعرق ، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة ، وينطق لك الأخرس ،

---

(١) ينظر : المثل السائر لابن الأثير ـ تح : محمد محي الدين عبد الحميد ١ / ٣٧٨ ـ ط : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٩٥ م .

(٢) الطراز للعلوي ـ تح : د عبد الحميد هنداوي ١ / ١٦٧ ـ ط : المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط : أولى ـ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م .

(٣) الكامل : تأليف أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ـ تح : د/ محمد أحمد الدالي ٩٩٦/٢ ـ ط : مؤسسة الرسالة ـ الثانية ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

(٤) الكامل ٢ / ١٠٥٧

ويريك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويُريك التئام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنَّار مجتمعين "؟[1]

ويرحم الله من علمائنا المحدثين الدكتور : محمد حسن شرشر القائل: " إنه فن أخاذ من فنون البلاغة ، لا يصل إليه إلا من لَطُفَ طبعه وصفت قريحته ، وهو عنصر من عناصر الأسلوب ، يرسم صورة للحس والشعور ، فينقل المعنى في بيان ووضوح ، وكلما جلَّا التشبيه المعنى ، وزاده قوة ووضوحا ، كان أملك للنفس ، وأبعد للتأثير " [2]

هذا ، والقول في منزلة التشبيه وفضله لا ينفد ، ولا ينتهي ، وما من أديب إلا اغترف مِن فيضه ، وتزيَّن من دُرره ، وتَحلَّى بمَحاسنه ، وحسبُنا ما ذكرنا ، وهو غيض مِن فيض ، والله تعالى أعلم .

(1) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني . قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ص ١٣٢ . ط : دار المدني بجدة .

(2) لباب البيان د : محمد حسن شرشر ص ٢٩ . ط : دار الطباعة المحمدية . ط : ثانية . ١٩٨٠ م .

المبحث الأول
أثر تنوُّع المشبه به في وصف كلام المحبوبة بالحلاوة والاستطابة وقبول النفس

المبحث الأول :
أثر تنوُّع المشبه به في وصف كلام المحبوبة بالحلاوة والاستطابة وقبول النفس

مِن أجلّ الدروس البلاغية التي عني بها شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني وأولاها عناية فائقة في دلائله – دراسة مظاهر اختلاف الشعراء في المعاني المُشتركة بينهم ورصد أشكال التعبير المتباينة بينهم ؛ ذلك لأنَّ لكلّ شاعر إحساسا وعاطفة وتجربة تختلف عن غيره ، كما أنّ لكلِّ شاعر صنعة هي بلا شك تختلف عن صنعة غيره ، ولا تكاد تتفق ، فلكلّ واحد وسائل وآليات بيانية يعمد إليها في بيانه ، تتناسب مع ذائقته ، وتتفق مع ما رُكب في طبعه .

وغير ذلك الكثير من الأمور والأسس التي تؤثر في تكوين الصُّور الشعرية، كالأحوال النفسية التي تحيط بنفس الشاعر ، وكذا الأجواء والظُّروف التي يعيش فيها .

فالشعر " أحد مجالات النشاط الإنساني الذي يعبر عن الأحاسيس والمشاعر التي تجيش بصدر كاتبه في المواقف المختلفة ، فنراه مصاحبا للحظات الانفعال والتأثر ، بحسب الحالة المزاجية للشاعر ، حيث ينفعل الشاعر مع ما يدور حوله من أحداث ، فيتأثر بها ، فتختلف أشعاره (إنتاجه الشعري) باختلاف الأحداث المصاحبة لذلك بين الفرح والترح ، أو اليأس والرجاء ، أو

التحفيز والتشجيع " [١]

فالمصوِّر أو المشبه " إنَّما يستمد صوره من حياته هو ؛ لأن الأشياء لا تقع في النفوس على حد واحد ، وإنما يكون ذلك وفق الأحوال والتجارب ، فالشيء الواحد يثير في نفوس من يرونه صورًا مختلفة باختلاف أحوال هذه النفوس ، واهتماماتها ، وما تعايشه في تجاربها " [٢]

أضف إلى ذلك : أثر البيئة في تشكيل بناء الصور والمعاني الشعرية والتي لها أثرها في تشكيل وجدان الشاعر وإحساسه ، يقول العسكري ـ رحمه الله ـ : " وإذا كان القوم في قبيلةٍ واحدة ، وفي أرضٍ واحدة ، فإنّ خواطرهم تقعُ متقاربة ، كما أنَّ أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة " [٣]

ثمَّ إنَّ المقام له دور رئيس في تشكيل بناء الصُّور الشِّعرية ، وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان ، فصورة ذُكرت في مقام الغزل مثلا ، تختلف عن أخرى قيلت في مقام الرِّثاء أو الفخر ؛ ذلك لأنَّ لكل غرض خصائصه الأسلوبية ،

---

(١) أشعار المرأة في العهد القديم ـ دراسة تحليلية نقدية لقصيدتي مريم ودبورة ـ د / محمد مدبولي عبد الرازق ص ٢٧٧ ـ مجلة رسالة المشرق ـ مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة المجلد ٢٥ العدد٣ ، ٤ ـ ٢٠١٠ م .

(٢) ينظر : مظاهر اختلاف عناصر الصورة التشبيهية بين ابن الرومي وابن المعتز في وصف الظواهر الكونية والخمر للباحث ص ٥٠ ـ رسالة ماجستير ـ مخطوطة ـ كلية اللغة العربية بأسيوط ـ ٢٠١٠ م .

(٣) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبي هلال العسكري ـ تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ٢٣٠ ـ ط : المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

وبنيته التركيبية ، وترى هنا شاعرا قد رمى بالمعنى من دون تأنّق أو تجويد ، وآخر هناك قد جود فيه وحسن ، حتَّى أخرجه في ثوب الإبداع ، وهكذا .

ترى الإمام عبد القاهر ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ يقول : " وقد أردتُ أن أكتُبَ جملةً من الشِّعْر الذي أنتَ ترى الشّاعرين فيه قدْ قالا في معنى واحدٍ ، وهو يَنقَسِمُ قسمين : قسمٌ أنتَ ترى أحد الشاعرينِ فيه قد أتى بالمعنى غُفلاً ساذجاً ، وترى الآخرَ قد أخرجَه في صورةٍ تروقُ وتُعْجِبُ ، وقسمٌ أنتَ ترى كلَ واحدٍ من الشاعرين قد صَنَعَ في المعنى وصَوَّرَ " [1] .

وقد كَثُر إحسان شعراء بني العباس في وصف كلام المحبوبة بالحلاوة والاستطابة وقبول النَّفس؛ ذلك لاهتمامهم بوصف المرأة عامة ، وكلامها خاصة ، وقد تنوَّعت تشبيهاتهم تنوُّعًا يتَّسق إلى حدّ كبير مع حال المشبه ، وسياق الصُّورة التشبيهية ، فترى اختلاف مادة المشبَّه به ، واختلاف بنيته التركيبيَّة طولا وقصرا ، تقييدا وإطلاقا ، سِمة قد اتَّسمت بها تشبيهات هذا المبحث ، وهذا ما سوف تتصدَّى له صَفحات هذا المبحث بالتحليل والتعليل البلاغيّ الذي يتَّسق وطبيعة شعر الغزل.

من ذلك ما جاء عن بشار بن برد [2] يصف حديث محبوبته بثمر الجنان وذلك في قوله :

---

(1) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ـ تح : د : التنجي ـ ص ٣٥٠ ـ ط : دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط : أولى ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م .

(2) هو : أبو معاذ بشار بن برد العقيلي ، أشعر المولدين على الإطلاق ، أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ، ونسبته إلى امرأة (عقيلية) ، قيل إنَّها أعتقته من الرق ، كان ضريرا ، نشأ في البصرة وقدم بغداد ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية،ولد عام ٩٥ هـ ، وتوفي١٦٧هـ ينظر : الأعلام للزركلي ٢ / ٥٢ .

ودعجـــاءِ المحـــاجرِ مـــن معـــدٍّ ∴ كـــأنَّ حـــديثها ثمَـــرُ الجِنَـــان
إذَا قَامَـــتْ لمشـــيتها تَثَنَّـــتْ ∴ كَـــأَنَّ عِظَامَهـــا مـــن خَيْـــزُرَانِ
ينسِّـــيكَ المنـــى نظـــرٌ إليهـــا ∴ ويصرفُ وجهها وجه الزمانِ [1]

ووصفه بسُكر الشَّراب في قوله :

مصـــورة يحـــار الطـــرف فيهـــا ∴ كـــأنَّ حـــديثها سُـــكر الشَّـــراب [2]

ومن تشبيهه بتساقط الرطب الجني من الأفنان في قول بشار أيضا :

وَلِلفْظِهـــــا دَلٌّ إذا نَطقـــــتْ ∴ تركـــتْ بنـــاتِ فُـــؤادِهِ صُـــغْرَاَ

---

(1) الأبيات من الوافر التام . ينظر ديوان بشار بن برد . شرح وتكميل الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ٤ / ١٩٨ . ط : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م .

(2) ويروى البيت بلفظ :

منعمـــةٌ يحـــار الطـــرف فيهـــا ∴ كـــأنَّ حـــديثها سُـــكْرُ الشَّـــراب
مـــن المتصـــديات لغيـــر ســـوءٍ ∴ تســـيل إذا مشـــت ســـيل الحبـــابِ

ينظر : الأمالي في لغة العرب . تأليف : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ١ / ٨٤ ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م .

وتشبيه حديث المحبوبة بالسكر كثير في شعر بشار ، فمن ذلك أيضا قوله :

فبـــت أبكـــي مـــن حـــب جاريـــة ∴ لـــم تَجْزِنـــي نـــائلا ولـــم تَكَـــد
إلا حـــــديثا كـــــالخمر لذتُـــــه ∴ تكـــونُ سُـــكرا فـــي الـــروح والجســـد

ينظر : ديوان بشار . شرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور . ٣ / ٦٦ . ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٥٧ م .

كَتَسَاقُطِ الرَّطْبِ الجَنِيِّ مِنَ ال ∴ أفْنَانِ لا نثْراً ولا نَزْراَ [١]

حديثٌ كَطعْمِ الشَّهدِ حُلوٌ صدورُهُ ∴ وأعجازُهُ الخُطْبانُ دونَ المحارمِ[٢]

ومن وصف له بالشهد أيضا في شعر أبي حية النميري [٣] عند قوله :

حديث – إذا لم تخش عينا – كأنَّه ∴ إذا ساقطته الشّهد أو هو أطيب

لو أنك تستشفى به بعد سكرة ∴ من الموت كادت سكرة الموت تذهب[٤]

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسريّ بن أحمد الرَّفاء ١ / ١٦٤ . دمشق . ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٦ م .

دَلُّ المرأَةِ ودَلالُها تَدَلُّلها على زوجها وذلك أَن تُرِيه جَراءةً عليه في تَغَنُّج وتَشَكُّل كأَنها تخالفه وليس بها خِلاف ... قال ابن الأَثير دَلُّها حُسْنُ هيئتها وقيل حُسْنُ حديثها ، قال شمر الدَّلال للمرأَة والدَّلُّ حسن الحديث وحسن المَزْح والهيئة . ينظر : اللسان مادة (د ل ل) .

الَّصعَر : مَيَلٌ في الوَجْهِ وقيل الصَّعَرُ المَيَل في الخدِّ خاصة اللسان مادة (ص ع ر) وصعر خده أماله عجبا وكبرا ، وفي التنزيل العزيز : ولا تصعر خدك للناس . ينظر : المعجم الوسيط تأليف : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار . تح : مجمع اللغة العربية مادة (ص ع ر) . ط : دار الدعوة . د ت .

(٢) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ١ / ١٦١

(٣) هو : الهيثم بن الربيع بن زرارة أبو حية النميري ، كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وكان شاعرا فصيحا من ساكني البصرة ، وكان أهوج جبانا كذابا ، وكانت وفاته بعد السبعين والمائة . ينظر : فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي . تح : علي محمد بن يعوض الله /عادل أحمد عبد الموجود . ٢ / ٥٨١ . ٥٨٣ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ٢٠٠٠ م .

(٤) شعر أبي حية النميري . جمعه وحققه د : يحيى الجبوري . ص ١١٢ ، ١١٣ . ط: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق . ١٩٧٥ م .

تلاقت التشبيهات السَّابقة في بعض العناصر المكوِّنة للصور التشبيهية من اختيار مُشبَّه واحد هو وصف حديث المحبوبة ، ووجه شبه واحد هو الحلاوة والاستطابة وقبول النَّفس ، وسِياق عام واحد هو الغزل ، كذلك كان الغرَض من الصُّورة التشبيهيَّة في جميعها بيان حَال المشبه ، فالشَّاعر يريد إلحاق ما هو ضعيف الصِّفة ، غير ظاهرها ، بما هو معلوم بيِّن ، فمن أهمّ أغراض التشبيه وأبلغها ، كما يقول أبو هلال العسكري : " إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوةٌ فيها " (١)

وكيف لا ؟! وللتشبيه " أثر في رفع شأن الكلام ، وخلع أشعة البهاء عليه ، وإلباسه رَوع الإعجاب ، وتمهيد طريق معبّد له في ثنايا النفوس ، وفتح باب القبول أمامه في أطواء الصّدور ، فإنَّه أشبه شيء بوسائل الإيضاح، ونماذج الدروس التي تسبق الشرح أو يعقب بها عليه ، فتذلل ما عسى أن يكون من عسر في الفهم ، وتثبت معانيها في الذهن .

هذا إلى خلابة البيان التي تنبعث منه انبعاث أشعة السحر والفتون من العيون النجل ؛ فتفعل فعلها العجيب بالقلوب فتصرّفها كما تشاء ، بسطا وقبضا ، ورغبة ورهبة ، ومحبة وبغضة ، وتقودها إلى ما تهوى بزمام سلس، وعنان لين " (٢)

هذا ، ومن مظاهر اختلاف عناصر الصُّور التشبيهية : تنوُّع أداة

---

(١) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ١ / ٢٤٢

(٢) فن التشبيه . بلاغة . أدب . نقد . للشيخ علي الجندي ١ / ٤٨ . مطبعة نهضة مصر . ط : أولى . ١٩٥٢ م .

التشبيه وترددها بين (كأنّ) التي ترد لتأكيد الحكم بالتشبيه أو التشابه [١] ، أو لبيان قوة التشابه ، وشدة التقارب بين طرفي التشبيه ، حتَّى كأنَّ المشبه هو عين المشبه به ، كما هو مقرّر في تراثنا البلاغي ، وبين الكاف التي ترد لمطلق المشابهة .

اختلاف مادة المشبه به أبرز تنوُّع يلاحظه المطالع لتلك الصُّور التشبيهية ، فبشَّار آثر وصف كلام المحبوبة بثمر الجنان في الصورة الأولى ، وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس ، وفيه صوَّر . كما يتراءى للنَّاظر . مسموعا بمبصَر ، وهنا نقف إزاء ذلك لنؤكِّد على أنَّ ذلك " مزج لطيف ناتج عن قوة خيال بشَّار ، وعبقريته في الربّط ، يهدف من ورائه إلى رسم صورة جديدة لصوت محبوبته ، وإبراز جمال مختلف لحديثها في تنوُّع لذته ، وعظيم أثره في النفس ، من خلال تشبيهه بثمر الجنان في فرط لذته التي لا تُكيّف ، وتنوع مذاقاته وطعومه ؛ ليؤثر فينا تأثيرا روحيا أبلغ مِن تأثير أيّ لحن موسيقي أو صوت شجي " [٢]

إنَّ ما يُعرف بـ " مزج الصورة السَّمعية بالبصرية (خاصة) عند بشار بن برد لدليل قاطع على عبقرية الخيال لديه ، ودقة الملاحظة عنده ، وبعد النظر في إدراك العلائق الخفية بين المسموع والمرئي ، وحسن التأليف والرصف والربط لما تشكّل في خياله ممَّا لم يدركه سابقوه ؛ لأنَّ إدراكهم كان محصورا في

---

(١) ينظر : حول الإعجاز البلاغي للقرآن . قضايا ومباحث د حسن طبل ص ٢٢٣ . ط: مكتبة الإيمان . المنصورة . ط : أولى . ٢٠٠٥ م .

(٢) مزج الصورة السمعية بالبصرية عند بشار . دراسة بلاغية . سياق الحديث عن المرأة أنموذجا . د / عبد الهادي سيد أحمد عبد العال . حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية ص ١٨ .

العلاقات المتشابهة ، أو المتجاورة ، أو القريبة ، حتى تصوّر الصوت ألوانا مختلفة ، منها الحمراء والصفراء ، وأصباغ المطارف ... وأنَّ هذا المزج ليس أثرا مِن آثار العمى ، وكان يمكن أن يكون هذا القول مقبولا إذا صوّر الشاعر المرئيَّ الذي تعطلت حاسته عنده بالمسموع ، أمّا والذي حدث هو العكس فليس مقبولا ذلك ، ولا دلالة فيه إلا على عبقريته ونبوغه وقوة خياله الذي ألّف بين ما يرى وما يسمع في صورة واحدة ، فجاءت بهذه الروعة وهذه الدقة الشاهدة بعبقريته وصنعته " [١] .

في حين يرى الطَّاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ أنَّ التشبيه مِن قبيل المحسوس بالمعقول ، حيث يقول : " والظاهر أنَّه أراد جنَّات الخلد ، ولذلك قيَّد الثِّمار بها ، لأنَّه لو أراد ثمار الدنيا لما احتاج إلى لفظ الجنان ؛ إذ الثمار لا يكون إلا ثمار جنان ، ألا ترى أنه لو قال: كأنّه ثمر الجنة لتبادر إلى الذهن أنَّه أراد جنة الخلد ، وعلى هذا الوجه الراجح يكون وجه الشبه فرط اللذة التي لا تُكَيَّف ، فيكون ذلك من تشبيه المحسوس بالمعقول " [٢]

وفي ظنِّي أنَّ تشبيه كلام المحبوبة بثمر جنان دار الخلد لا بثمر جنان دار الدنيا أوقع ؛ إذ فيه تكون الصورة أكثر حسنا وثراء ، حيث يضفي الوصف على المشبه حسنا لا يكاد يوجد في الوصف بثمر جنان دار الدنيا ، فأيُّ شبه بين ثمر جنان دار الخلد وبين ثمر جنان دنيانا ؟! .

والناظر هنا يدرك مدى الانسجام بين أجزاء هذه الصُّورة الكليّة لتلك

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٢) ينظر : ديوان بشار بن برد ـ شرح وتكميل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ ٤ / ١٩٨ ١٩٨ ـ ط : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦ م .

المرأة ، فجنان دار الخُلد وما فيها مِن سَعة وامتداد تتناغى مع وصف العينين في الشَّطر الأول من البيت بالدعج وهو شدة سواد أسود العين مع سعتها ، وينسجم كثيرا مع وصف المرأة بالحوراء كما في رواية الخصائص والبديع في نقد الشعر والتشبيهات لابن أبي عون وغيرها :

وحَــورَاء المــدامِع مِــن معَــدٍّ ∴ كَــأَنَّ حَــدِيثها ثمَــرُ الجِنَــان [1]

****

أمَّا في قوله :

مصــورة يحــار الطــرف فيهــا ∴ كــأنَّ حــديثها سُــكر الشَّــراب

فقد وصف كلام المحبوبة بسكر الشراب ، والجامع الحلاوة والاستطابة وقبول النَّفس ، مع ما في الشراب المسكر من نسيان الهموم والآلام والمتاعب ، وهذه لذة أخرى يعدها من يتعاطى تلك الأشربة ، بل للخمر عند أهلها منافع لا تحصى ، وعوائد لا تعد .

فابن الرومي مثلا [2] ـ وهو من شعراء العصر العباسي ـ كان يدعو إلى الأنس بها ، والعيش في رياضها فنراه في ديوانه يدَّعي أنها تجلب الأفراح ، وتنفي عن المرء همومه ، وأتراحه ، بل هي تجعل من الشيخ الكبير شابًا يلهو ، ويمرح ، ويجري ، تأمّل قوله وهو يتحدث عنها :

---

(1) ينظر : الخصائص لابن جني ـ تح : محمد علي النجار ـ ١ / ٣١ ـ ط : عالم الكتب ـ بيروت .

(2) ينظر : مظاهر اختلاف عناصر الصورة التشبيهية بين ابن الرومي وابن المعتز في وصف الظواهر الكونية والخمر للباحث ص ٢٥٠ ـ رسالة ماجستير ـ كلية اللغة العربية بأسيوط ـ ٢٠١٠ م .

تَجْلُو السُّرُورَ عَلَى الفَتَى فِي قَلْبِهِ ∴ وَالحُسْنُ فِي الكَاسَاتِ وَالأَقْدَاحِ
هَيْهَاتَ إلا بالشَّمُولِ فَإِنَّهَا ∴ نَافِى الهُمُومِ وجَالِبِ الأَفْرَاحِ
بِكْراً تَرُدُّ عَلَى الكَبيرِ شَبَابَهُ ∴ فَتَرَاهُ بينَ صَبَابَةٍ وَمَرَاحِ
حَسْناءَ تَكْسُو من مَحَاسِنِهَا الفَتَى ∴ فَتَرَاهُ أَحْمَرَ أزهرَ المِصْبَاحِ
تَاللهِ مَا أَدْرِي لأَيَّةِ عِلَّةٍ ∴ يَدعُونَها فِي الرَّاحِ باسمِ الرَّاحِ
أَلِرِيحِهَا وَلِرُوحِهَا تَحتَ الحَشَى ∴ أَمْ لارْتِيَاحِ نِدِيمِهَا المِرْتَاحِ [1]

ومن قوله فيها :

رَأَيتُ كُلَّ شَرَابٍ لا مَسَاغَ لَهُ ∴ غَيرَ المُدَامَةِ إلا عِندَ ظَمْآنِ
كَأسٌ يَسُوغُهَا الرَّيَانُ لَذَّتَهَا ∴ إذَا تَأَبَّى سِوَاهَا كُلُّ رَيَّانِ
يَمَلُ كُلُّ شَرَابٍ مَن يُعَاقِرُهَا ∴ وَشَارِبُ الرّاحِ مَشْعُوفٌ بِهَا عَانِي
كَرِيقَةِ المَرْءِ لا تَنْفَكُّ من فَمِهِ ∴ وَمَا يَمَلُّ لَهَا طَعْماً لإبَّانِ [2]

ومن جميل ما قسَّم وفصَّل قوله :

رَيْحَانَةٌ لِنَدِيمِهَا دِرْيَاقَةٌ ∴ لِسَلِيمِهَا تَشْفِي سِقَامَ سَقِيمِهَا [3]

ويمكن أن يكون مقصود الشاعر الأهمّ في تشبيه كلام الصَّاحبة (المحبوبة) بسكر الشَّراب هو بيان تأثير كلام المحبوبة في الفؤاد ، وأنَّ كلامها معه يسلبه عقله ، وينسيه كلَّ شيء ، كما تفعل الخمر بشاربها ، فالشاعر إذا

(١) ديوان ابن الرومي . تح : د / حسين نصار ٥٥٢/٢ . ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية . ١٩٩٣ م .
(٢) ديوان ابن الرومي ٢٥٣٦/٦
(٣) ديوان ابن الرومي ٢٢٣٧/٦

" يريد أنها تصبي بحديثها فيحدث لسامعه من التصابي والجذل مثل سكر الشباب ؛ لأنَّ الشباب في بُلَهْنيّة " [1] وبذلك يكون الشاعر قد تخلص من الحسِّية التي سيطرت على أركان الصُّورة التشبيهية فأضاف لها حسنا على حسنها.

هذا ، واصطفاء (سُكر الشَّراب) مادة للمشبه به يتناسق مع وصف المحبوبة بقوله : (يحار الطَّرف فيها) الذي يكني به الشاعر عن فرط جمال المحبوبة ، وبلوغها حد النهاية ، وكأنَّه اتخذ مِن هذا الوصف مَدخلا لبناء صورته التشبيهية ، وهذا أمر حسن يُحسب للصورة ، فتدخل على النفس دخول المأنوس المُنتظر .

واختار بشار كذلك تساقط الرّطْب الجنيّ من الأفنان مادة للمشبه به في الصورة الثالثة عند قوله :

وَلِلفْظِهـــــا دَلٌّ إذا نَطقـــــتْ ∴ تركــتْ بنــاتِ فُــؤادِهِ صُــعْراَ

كَتَســاقُطِ الرَّطْــب الجَنِــيِّ مــن ال ∴ أفْنـــانِ لا نثْـــراً ولا نَـــزْراَ

وفي هذه الصورة يبرز بشار جمال كلام المحبوبة ، وقد استعار له دلا كما ترى ، ويبين مدى وقعه على النفس ، فتراه يصفه بأنَّه ذو حُسن وجمال ما يجعل بنات الفؤاد في زهو وخيلاء فـ " الَّصعَر مَيَلٌ في الوَجْهِ ، وقيل الصَّعَرُ المَيَل في الخدِّ خاصة .. وقد صَعَّرَ خَدَّه وصاعَرَه أَمالهُ من الكِبْرِ " [2] وفي جعل الشاعر للفؤاد بنات استعارة كما ترى .

([1]) سمط اللآلئ . نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه (ذيل اللآلئ في شرح ذيل أمالي القالي) : عبد العزيز الميمني ١ / ٢٧٣ . ط : دار الكتب العلمية .

([2]) لسان العرب . مادة (صعر) .

ثمَّ راح الشاعر يتلمَّس شبها يبين فيه مدى جمال الكلام من وجه ، ومقدار خروجه من فم المرأة وهو حد الاعتدال من وجه آخر، فأدركه في تساقط التمر الذي لا يزال رطبا مِن الأفنان بحيث يكون تساقطه فيه اعتدال (لا نثْراً ولا نَـزْراَ) أي : لا يسقط بغزارة ، ولا يكون في سقوطه تباعُد وبطء ، وهذا ما أوحى به الإطناب الذي جاء في ثوب الإيغال .

ويأتي وصف حديث المحبوبة بالشَّهد في قول أبي حيَّة النميري :

حديث – إذا لم تخش عينا – كأنَّه ∴ إذا ساقطته الشّهد أو هو أطيب

لكن اختلاف بنية الصُّورة التشبيهية هنا جعل للتشبيه مذاقا بيانيا يجعله يمتاز عن غيره من الصور التي تلاقت معه في مادة المُشبه به (الشهد أو جنى النحل) ، فأول ما يلقاك الاعتراض بقوله : (إذا لم تخش عينا) الذي يشي ببالغ حُسن حديث المحبوبة وفرط جماله إذ يتوقع الشَّاعر حصول الأذى لهذا الصوت لو سمعه مبغض حاقد ، ويتبدَّى كذلك جمال الاعتراض هنا في وقعه وقوع ما لا يترقب ، فيكون ـ كما يقول البلاغيون ـ مثله مثل الحسنة تأتيك مِن حيث لا ترتقبها [1].

واعترض ثانيًا بجملة الشَّرط في بنية المُشبه به : (كأنه ـ إذا ساقطته ـ الشهد) وفيه من تشويق المخاطب إلى حديث المحبوبة تشويقا يرمز به مرة ثانية إلى فرط الحُسن والجمال .

ثمَ تراه قد أضرب عن وصف المُشبه بالشهد مدَّعيا أنَّ كلام المحبوبة أطيب من الشهد، وكأنَّ الشاعر اعتقد أولا أنَّ كلام المحبوبة يشبه الشهد، فعاد لينفي ما اعتقده مبرزا أن حسنه يفوق حسن الشهد ، ويزيد طيبا عنه .

(1) ينظر : الإيضاح للخطيب القزويني ص ١٩٧ .

وهذا الإضراب في الوصف يضفي على الصورة مزيدا من الحسن لو قال : (حديث أطيب من الشهد) ؛ حيث تراه قد أثبت للمشبه ابتداء مشابهته للشهد ، ثمَّ عاد فأثبت له الأفضلية ، وهذا ينقل التشبيه مِن مرتبة القرب والابتذال إلى مرتبة أسمى.

ثم تأتي المبالغة الحسنة التي ذهبت بالصورة مذهبا بعيدا في الحسن عند قوله:

لـو أنـك تستشـفى بـه بعـد سـكرة ∴ من الموت كادت سكرة الموت تذهب

فقد بلغت . كما ترى . المبالغة بالصورة شأوا بعيدا ، وكيف لا ؟ ! والمبالغة أحد أهمّ مقاصد التشبيه وأغراضه التي يتلمَّسها البليغ ، فقد صورت المُبالغة إمكان ذهاب سكرة الموت . رغم استحالة ذلك . إذا أُستشفي بحديث هذه المحبوبة . وقد قرب المبالغة مِن الإمكان وقوع المبالغة بعد لفظ (كادت) الذي يقرب من الصحة والإمكان .

فالمبالغة أسلوب عريق من أساليب البيان الرفيعة ، ومظهر من مظاهر صوغ الكلام وحوكه ، تفي بحاجات النَّفس الشاعرة ومطالبها ، وتتسع لمعاني الشعر وأغراضه ، يفرغ فيها الأديب ما يحس به من آلام وأشجان ، ويصب في قوالبها ما يجيش به صدره من شوق ملتهب وعواطف مشتعلة ، ويصهر في بوتقتها ما تمتلئ به نفسه من مشاعر وأحاسيس " [1]

وهنا نقف لنؤكِّد أنَّ التشبيه يتساوق مع فنّ المُبالغة ، ويتناغم معه أيّ تناغم ، حيث كان له دور واضح في جلاء صورة التشبيه ، وهذا ما مكَّن الشاعر مِن

(1) ينظر : المبالغة في الصورة البيانية . د / أيوب عبد العزيز بدران . ص ٣٣٠ . حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة . جامعة الأزهر . العدد الأول . ١٩٨٣ م .

تحقيق مقصوده ومرامه ، فلم يكن إيثار المبالغة عبثا أو أمرا فيه تعسُّف وتعمُّل ، بل تسايرت مع التشبيه في طريق توضيح المعني وجلائه .

واختيار الشهد وصفا لحديث المحبوبة كثير في شعر المتقدمين ، تجده مثلا حاضرا بكثرة في تشبيهات ذي الرمة ، من ذلك قوله :

رقــاقُ الحواشــي مُنْفِـذاتٌ صــدورَها ∴ وأَعجازُها عمَّا بها اللهوُ خُذَّلُ(١)

وفيه ـ كما ترى ـ يجعل حديث النساء يشبه قطع عسل النحل في ماء الصفا لكمال حلاوته وفرط حسنه ، وذكَر ماء الصفاء ، ومقصوده نقاء الماء وطيبه، وقوله (متشمل) يعني هبَّت عليه الشمال ، وهو وصف يجمل الشهد ويحسِّنه، وتلمِس هنا تنامي المعاني عند الشاعر وتغازرها ، فلم يكتفِ الشَّاعر هنا بوصف الكلام بقطع العسل ، بل جعله ممزوجا بماء الصَّفاء النقيّ العذب ، وليس هذا فحسب ، بل جعل هذا العسل الممزوج بماء الصفاء في مهبّ ريح الشمال الباردة ، وكلّ هذا يضفي على المُشبَّه به والمشبه مزيدا من الحسن والجمال .

ثم استطرد في وصف الكلام والغرض المبالغة في تصوير جمال الكلام وحسنه فقال:

رقــاقُ الحواشــي مُنْفِـذاتٌ صــدورَها ∴ وأَعجازُها عمَّا بها اللهوُ خُذَّلُ

(١) ينظر : المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ١ / ٢٦٧ ـ الشهد : عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه ، القطعة منه شهدة ، ينظر : المعجم الوسيط ـ مادة (ش ه د) . المشمول : من هبت عليه ريح الشمال ، وقالوا غدير مشمول نسجت وجهه ريح الشمال و بردته و طيبته ، ونار مشمولة أذكتها ريح الشمال . ينظر : المعجم الوسيط ـ مادة (ش م ل)

وتراه هنا قد وصف الكلام بأنَّه رقيق الحواشي ، وهذا الوصف ينبئ عن لينه ووضوحه واستبانته ، يقول الزَّمخشري في تفسير معنى الرقة : " وكلام رقيق الحواشي ، ورقّق كلامه ، ورقق عن كذا : كنى عنه كناية يتوضح منها مغزاه للسامع " [1]

أمَّا قوله :

..... مُنْفِذاتٌ صدورَها ∴ وأَعجازُها عمَّا بها اللهوُ خُذَّلُ

ففيه إبراز أنَّ حال الشاعر مع كلام المحبوبة عند اللقاء يختلف كثيرا عن حاله حين الوداع والفراق ، وهذا يشِي بمدى انفعال الشاعر في الحالين ، ففي الأول سرور وانبساط ، وفي الثاني حزن وألم وانقباض .

ولذي الرمة أيضا قوله :

ولمَّا تلاقَيْنا جَرَتْ من عيُونِنا ∴ دُموعٌ كَفَفْنا غَرْبَها بالأصابعِ

ونِلنا سُقاطاً من حديثٍ كأنهُ ∴ جَنى النحلِ مَمزوجاً بماءِ الوَقائعِ[2]

الوَقائعِ[2]

وقوله :

أولئكَ آجالُ الفتى إن أرَدْنَهُ ∴ بقتلٍ وأسبابِ السَقامِ المُلازِمِ

يُقارِبْنَ حتى يطمعَ التابعُ الهوى ∴ وتَهتَزُّ أحناءُ القلوبِ الحوائِمِ

---

(1) أساس البلاغة للزمخشري . مادة (ر ق ق) . ط : دار الفكر . ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩ م .

(2) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ١ / ١٥١

والوَقائعُ المنَاقِعُ .. والوَقِيعُ مناقع الماء .. والوَقِيعةُ مكان صُلْبٌ يُمْسِكُ الماء وكذلك النُّقْرةُ في الجبل يَسْتَنْقِعُ فيها الماءُ وجمعها وَقائِعُ . ينظر : لسان العرب مادة (و ق ع)

حـديثٌ كَطعْـمِ الشَّـهدِ حُلـوٌ صـدورُهُ ∴ وأعجـازُهُ الخُطْبـانُ دونَ المحـارمِ[1]

******

كـذلك مـن أبـرز صـور التبـاين بـين الصـور التشـبيهية كمـا أسـلفنا : اخـتلاف بنيـة المشبه بـه التركيبيَّـة طـولا و قصـرا ، تقييـدا و إطلاقـا ، وإن كـان الغالب في هذه الصُّور اختيار البنيـة الطويلـة التـي تبلّـغ الشـاعر مـا يريـده مـن نفس المُخاطب .

فتشبيه بشار كلام المحبوبة بـ (ثمر الجنـان) تـارة ، و (سكر الشراب) تـارة أخرى ، قد بُني علـى مـا يُمكن أن نُطلق عليـه (البنيـة القصيرة)، وهـو مظهر مِن مظاهر قُرب التشبيه وابتذاله ؛ إذ الوصف لا تركيب فيه ولا تفصيل ، فيتأتَّى للمتلقِّي إدراك الوجه بين الطَّرفين بيُسر وسهولة .

لكن جاءت بنية صورة بشار التشبيهية التي شبه فيها حديث المحبوبة بتساقط الرطب الجني من الأفنان طويلة ، وهى أوقع من سابقتها وأبلـغ ، وذلـك في قوله :

وَلِلفْظِهـــــا دَلٌّ إذا نَطقـــــتْ ∴ تركـــتْ بنـــاتِ فُـــؤادِهِ صُـــعْراَ

كَتَســـاقُطِ الرَّطْـــب الجَنِـــيِّ مـــن ∴ الأفْنـــانِ لا نثْـــراً ولا نَـــزْراَ

فالملاحظ ـ كما هو باد ـ تباين البنية التركيبية في صور الشَّاعر الواحد ، وهذا التبايُن مرجعه تلاؤم كلّ بنية مع السِّياق ، وغرض الشَّاعر .

وقد تلاقت كذلك صورة بشار هذه طولا مع صورة أبي حية النميري :

حـديث – إذا لـم تخـش عينـا – كأنَّـه ∴ إذا سـاقطته الشّـهد أو هـو أطيـب

لـــو أنـــك تستشـــفى بـــه بعـــد ســـكرة ∴ من الموت كادت سكرة الموت تذهب

---

(1) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ١ / ١٦١

إذ قيد المشبه به أولا بجملة شرط ، ثمَّ تراه قد أضرب عن وصف المشبه بالشهد مدعيا أنَّ كلام المحبوبة أطيب مِن الشَّهد ، وكأنَّ الشاعر اعتقد أولا أنَّ كلام المحبوبة يشبه الشهد فعاد لينفي ما اعتقده مبرزا أنَّ حُسنه يفوق حُسن الشَّهد ويزيد طيبا عنه .

وهذا الإضراب في الوصف يضفي على الصورة مزيدا من الحسن لو قال: (حديث أطيب من الشهد) ؛ حيث تراه أثبت للمشبه ابتداء مشابهته للشهد، ثم عاد فأثبت له الأفضلية، وهذا ينقل التشبيه من مرتبة القرب والابتذال إلى مرتبة أسمى .

ثم راح يتبعه بالمبالغة التى أحسن الشاعر توظيفها توظيفا بديعا ؛ إذ تلاقت مع الصورة التشبيهية إلى حد كبير، فكانت خادمة للمعنى المراد من خلال الوصف في قوله :

لو أنك تستشفى به بعد سكرة ∴ من الموت كادت سكرة الموت تذهب

وهذا يرمز إلى مدى انفعال الشَّاعر وعُمق إحساسه بالصُّورة التشبيهية .

ولا شكَّ أنّ لطول بنية المشبه- به بما تحمله من قيود- أثرا واضحا في وجه الشبه ، فلكلّ بنية دلالة تؤثر في الشَّبه القائم بين طرفي الصّورة التشبيهيّة قوّة وضعفا، ووضوحا وخفاء .

وهذا التباين في بنية الصُّورة طولا أو قصرا يمكن أن نعزوه إلى " اختلاف الجهة التي ينظر منها الشاعر إلى الحدث أو المعنى الذي يصوره ، واختلاف الجهات التي يركز الشاعر عليها في الصورة ، أحد الشاعرين لا تجاوز صورته جانبا من الحدث أو المعنى ، والآخر يحيط بجوانب متعددة على جهة الاستقصاء والتتبع ، أو أنَّ أحدهما يصف وصفا ظاهرا لا عمق فيه،

والآخر يتعمق في معانيه ويتغلغل فكره فيما وراء هذه الصفات ولا يقنع بالظاهر ، فتحتاج صورة معناه إلى إعمال فكر وروية وتدبر من السامع ، فلكل منزع وطريق وصنعة وهكذا " (١)

وتتمة القول هنا نقول : إنَّ اختلاف أوصاف المشبه أو المشبه به بين الشعراء في الغرض الواحد ، وتنوع القيود التي تدخل على التشبيهات ، إنَّما يمثل طريقة الشاعر الخاصة ، ويبين ميسمه الذي يميزه عن غيره من ذوي جنسه ؛ لأنَّ " لكلِّ واحدٍ ينبُوعا مِن المعاني ، تجيش في فؤاده ، يستسقى منها ما يتفق مع ذائقته وما ركب فى طبعه " (٢) .

وإذا كان لكلّ إنسان بصمة إصبع ، أو بصمة عين خاصة به وحده لا يمكن على سَعة تعداد البشر أن تتماثل بصمة إنسان مع غيره ، فإنَّ لكلّ ذي بيان بصمة فيما ينظم تتعرَّف من خلالها عليه ، وتأخذك إلى المعرفة الخالصة بأنَّ هذا النظم هو نظمه لا نظم غيره ، حتى لو تفرَّق نظمه بين نظوم غيره ، فإنَّك - إنْ عرفتَ قالبه الذي ينظم فيه - مميزُهُ لا محالة (٣).

إنَّ تنوع وصف المُشبه به هنا الذي اتخذ مِن الحديث عن حلاوة واستطابة كلام المرأة أو المحبوبة ميدانا يعكس مدى افتنان الشُّعراء بجميل حديثها ، وسحر كلامها ، وأنَّ لحديث المرأة مع الرجل أثرًا بعيدا في النَّفس .

---

(١) صور المعنى الواحد بين حسان بن ثابت وكعب بن مالك ﷺ في ديوانيهما "دراسة بلاغية ص ٤١ - رسالة دكتوراه - مخطوطة - للباحث : مصطفى محمد حجاب - كلية اللغة العربية بأسيوط - ٢٠١٧ م .

(٢) سمت البناء التركيبي لسورة الطلاق للباحث - ص ١٤٣٥ - حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا - عدد ١٤ - ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٤٣ .

هذا التنوع اتَّسق إلى حدّ كبير مع حال المُشبه وأوصافه ، وسياق الصُّورة التشبيهية ، وكان لهذا التنوع أسباب ، مِن أظهرها اختلاف مادة المشبه به ، واختلاف بنيته التركيبية طولا وقصرا ، إطلاقا وتقييدا ؛ إذ إنَّ طول البنية التركيبية وقصرها يؤثر في الصّورة التشبيهيّة حُسنا وقبحا ، قوّة وضعفا ، وضوحا وخفاء .

بل إنَّ أهم ما يميز الشَّاعر عن غيره ممَّن تحدَّثوا معه في الغرض ذاته والمعنى نفسه هو تشكيل الصُّورة الشعرية ، وكيفية رصفها ، وطريقة بنائها.

ولعلّ أهمّ ما يبدو للنَّاظر في الصُّور التشبيهية لهذا المبحث هو اعتماد الشُّعراء في تصويرهم لكلام المحبوبة على المُفردات البصرية : (ثمر الجنان ، سكر الشراب ، الرطب الجني) ، وكان لهذه المفردات أثر ملموس في خدمة التشبيه ، ونقل المعاني إلى صور أجلى وأوضح وأكشف وأبين وأظهر .

المبحث الثاني
تنوُّع المُشبه به في وصف كلام المحبوبة بالحُسن والعذوبة في العصر العباسي .

المبحث الثاني :
تنوُّع المُشبه به في وصف كلام المحبوبة بالحُسن والعذوبة في العصر العباسي .

يتصدَّى هذا المبحث لدراسة أثر تنوُّع المشبه به في صور التشبيه التي تناولت وصف كلام المحبوبة بالحسن والعذوبة في شعر بني العباس ليرصد مظاهر هذا التنوع ، مع بيان أثر السِّياق في استدعاء مشبه به بعينه ، وقد رصدنا قبلا مِن أشكال التنوُّع في تشبيهات وصف كلام المحبوبة بالحلاوة والاستطابة : اختلاف مادة المشبَّه به ، واختلاف بنيته التركيبيَّة طولا أو قصرا ،

تقييدا أو إطلاقا ، وأبرزنا كيف كان اصطفاء كلمات بنية المشبه به اصطفاء ينسجم مع الموقف والغرض معا.

ورصدت الدراسة كذلك اختلافا بين الشعراء في استدعائهم للفنون البلاغية الأخرى ، فأحدهم يستدعي فنا مع التشبيه كالمبالغة ، والآخر يكتفي بصورة التشبيه وحدها .

تنوَّعت تشبيهات بشار في وصف كلام المحبوبة أو الصاحبة بالحسن والعذوبة ، فتارة يشبهه بالحلي ، كما في قوله :

لِلَّـــــهِ عَبـــــدَةُ إذ غَـــــدَت ∴ مِنّـــا تُـــزَفُّ إلـــى ابـــنِ قائِـــد

كَـــــالحَلي حُســـــنُ حَـــــديثِها ∴ وَدَلالُهـــا إحـــدى المَصـــايِد [1]

وتارة بحلي العرائس ، كما في قوله :

لَهَـــا منطِـــقٌ فَـــاخِر فَـــاتِن ∴ كحلْـــي العَـــرائِس يُسْـــتملحُ [2]

وبقطع الرياض التي غطاها الزهر وكساها تارة أخرى ، كما في قوله :

حـــــوراءُ إن نظـــــرت إلـــــي ∴ ك ســـــقتك بـــــالعينينِ خمـــــرا

تنســـــي الغـــــويّ معـــــادهُ ∴ وتكـــــونُ للحلمـــــاء ذكـــــرا

وكـــــأنَّ لفـــــظ حـــــديثها ∴ قطـــع الرِّيـــاض كُســـين زهـــرا

وكـــــأنَّ تحـــــت لســـــانها ∴ هـــاروتُ ينفـــث (فيـــه) ســـحرا

وتخـــــالُ مـــــا جمعـــــت علـــــي ∴ هـ ثيابهـــــا ذهبـــــاً وعطـــــرا[1]

([1]) ديوان بشار . جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور . ٢ / ١٧٣ . ط : وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية . ٢٠٠٧ م .

([2]) ديوان بشار . جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور . ٢ / ٨٠ . ط : وزارة الثقافة . ٢٠٠٧ م .

ووصفه كذلك بالرياض في قوله :

كَـأَنَّ رِياضـاً فُرِّقَـت فـي حَـديثِها ∴ عَلـى أَنَّ بَـدواً بَعضُـهُ كَبُـرودِ

تُميـتُ بِهـا أَلبابَنـا وَقُلوبَنـا ∴ مِـراراً وَتُحيـيهِنَّ بَعـدَ هُمـودِ [٢]

وقوله :

وحـديث كأنـه قِطَـعُ الـرو ∴ ض وفيـه الصّـفراءُ والحمـراءُ [٣]

أما سلم الخاسر [٤] فوصفه بالدر في قوله :

يُمسـي ويُصـبحُ مُعْرِضـاً فكأنـهُ ∴ مَلِـكٌ عزيـزٌ قـاهرٌ سُـلطانُهُ

ليسـت إسـاءَتُهُ بِناقصـةٍ لـهُ ∴ عِنـدي ولـيس يَزيـدُه إحسـانُهُ

رَخْـصُ البَنَـانِ كـأن رَجْـعَ كلامِـهِ ∴ دُرٌّ يُسـاقطُه إلـيَّ لسـانُهُ [٥]

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . تح : سمير جابر . ٣ / ١٤٨ . ط : دار الفكر ـ بيروت . ط : الثانية . من دون تاريخ .

ولهذه الأبيات مناسبة ذكرها صاحب الأغاني حيث ذكر أنه كان يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ، ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل إليها يعاتبها ، فاعتذرت بمرض أصابها ، فكتب إليها بهذه الأبيات . ينظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٣ / ١٤٨

(٢) ديوان بشار . جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور . ٢ / ١١٨ ، ١١٩ . ط : وزارة الثقافة . ٢٠٠٧ م .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ . تح : فوزي عطوي ص ١٥٠ . ط : دار صعب . بيروت.

(٤) هو سلم بن عمرو بن حماد ، شاعر ماجن من موالي البصرة ، سمي الخاسر ؛ لأنه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا ، توفي عام ١٨٦ هـ . ٨٠٢ م) . ينظر : الأعلام للزركلي ٣ / ١١١ .

(٥) ينظر : المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسريّ بن أحمد الرَّفاء١ / ١٥٦ .

وقريب منه قول البحتري [1] :

فلمَّا التقينا والنَّقا موعدٌ لنا ∴ تعجَّب رائي الدُّرّ حُسناً ولاقطه

فمن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامها ∴ ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقطه[2]

في حين وصف النميرى وقع كلام المحبوبة بسُقوطَ حصى المرجانِ من سِلْكِ ناظِمِ ، وذلك في قوله :

إذا هُنَّ ساقَطْنَ الأحاديثَ للفتى ∴ سُقوطَ حصى المرجانِ من سِلْكِ ناظِمِ

رَمَيْنَ فأقْصدْنَ القلوبَ ولا تَرى ∴ دَماً مائِراً إلا دَماً في الحَيازِمِ [3]

الرَّخْصُ : الشيء الناعم اللَّيِّنُ . ينظر : لسان العرب ـ مادة (ر خ ص) الدر : اللؤلؤ العظيم . ينظر : لسان العرب ـ مادة (د ر ر) .

(1) هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، ولد بمنبج (بين حلب والفرات) عام ٢٠٦ هـ ورحل إلى العراق ، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفي بمنبج عام ٢٨٤ هـ . ينظر : الأعلام للزركلي ٨ / ١٢٢ .

(2) ديوان البحتري ١ / ١٧٣ ـ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ طبعة : أولى ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

النقا : الكثيب من الرمل . ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ ط : المكتبة العلمية ـ بيروت ـ مادة (نقا) ولعله اسم موضع معين يقصده الشاعر .

(3) شعر أبي حية النميري ص ٨٦ .

المَرْجانُ : صغار اللؤلؤ . ينظر : لسان العرب ـ مادة (م ر ج) .

سِقاطُ الحديثِ أَن يتحدَّثَ الواحدُ ويُنْصِتَ له الآخَرُ فإذا سكت تحدَّثَ الساكِتُ . ينظر : لسان العرب ـ مادة (س ق ط) .

والقَصْدُ : إتيان الشيء ، تقول قصَدْتُه وقصدْتُ له وقصدْتُ إليه بمعنى ... أَقْصَدْتُ الرجلَ إذا طَعَنْتَه أَو رَمَيتَه بسهم فلم تُخْطئْ مَقاتلَه فهو مُقْصَد لسان العرب ـ مادة (ق ص د).

المُتأمِّل في بنية المُشبه به هنا في تشبيهات هذا المبحث يجد أنَّ شعراء بني العباس قد استلهموا مظاهر الطبيعة في صورهم التشبيهية ، وفي تجسيدهم لانفعالاتهم المختلفة ، ومن ذلك كلام المحبوبة موضع الدِّراسة ، فالطبيعة بمختلف مشاهدها . كما يبدو لي . كانت منزعهم الرَّئيس الذي يلتقطون منه المشاهد والصُّور ، ولكثرة ما ورد عن الشعراء مِن صور لهذه الطبيعة في كل عصر ومصر يمكن القول بأنَّ الطبيعة كانت في ذاكرة الشعراء وأفئدتهم يستحضرون منها المشاهد والصور متى احتاجوا .

التقت الصور التشبيهية عند الهدف الرئيس من التصوير، وهو بيان حال المشبه وتزيينه .

اختلاف مادة المشبه به أول ما يرصد من مظاهر اختلاف بين صور بشار والبحتري والنميري التشبيهية .

ففي قول بشار :

كَـــالحَلي حُســـنُ حَـــديثِها ∴ وَدَلالُهـــا إحـــدى المَصـــايِد

ترى أنَّ بشارا قد اختار الحلي مشبها به ، وذلك لأنَّ الحلي من المركوز في طباع البشر طُرًّا بالحُسن والجمال والملاحة ، وقدَّمه على المشبه ليجعله أول ما يقرع السَّمع ، وليبرز مدى الاهتمام والعناية بالمشبه به .

ومثله أيضا قوله :

ومارَ الدَّمُ والدَّمْعُ : سالَ وجَرى .. والمَوْرُ : المَوْجُ والاضطرابُ والجَرَيانُ على وجه الأرض والتَّحَرُّكُ . ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي . ط : دار الهداية . مادة (م ي ر)

الدم المائر : السائل الجاري . الحيازم : ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . ينظر : شعر أبي حية النميري ص ٨٦ .

لَهَـــا منطِـــقٌ فَـــاخِرٍ فَـــاتِنٍ ∴ كحلْـــي العَـــرائِس يُسْـــتملحُ

وهنا تجده قد أضاف الحلي إلى العرائس لغرض تشريف وتعظيم الحلي وإضفاء مزيد من الحُسن والملاحة إليه .

ومِن مَحاسن هذه الصُّورة التشبيهيَّة : اشتمالها على وصف المُشبه: (منطق المحبوبة) بقوله : (فاخر فاتن)، والفاخر الجيد من كل شيء [1] والفاتن معناه الساحر الذي تستحسنه النفس وتعجب به ، يقال : " فَتَنَ الرجلُ بالمرأَة وافْتَتَنَ، وأَهل الحجاز يقولون فتَنَتْه المرأَةُ إِذا وَلَّهَتْه وأَحبها " [2] ، ووصف المشبه به بالملاحة عند قوله (يستملح) وهو أيضا عائد على المشبه .

وقريب منه مادةً ، قول سلم الخاسر في تشبيهه حديث المحبوبة بالدر ، وهو مِن أصناف الحلي التي رسخ في أذهان العامة وصفه بغاية الحسن ، ونهاية الجمال :

يُمســـي ويُصـــبحُ مُعْرِضـــاً فكأنـــهُ ∴ مَلِـــكٌ عزيـــزٌ قـــاهرٌ سُـــلطانُهُ

ليســـت إســـاءَتُهُ بِناقصـــةٍ لـــهُ ∴ عِنـــدي ولـــيس يَزيـــدُه إحســـانُهُ

رَخْـــصُ البَنَـــانِ كـــأن رَجْـــعَ كلامِـــهِ ∴ دُرٌّ يُســـاقطُه إلـــيَّ لســـانُهُ

ومثله قول البحتري :

فلمَّـــا التقينـــا والنَّقـــا موعـــدٌ لنـــا ∴ تعجَّب رائـي الـدُّرّ حُسناً ولاقطه

فمـن لؤلـؤٍ تجلـوه عنـد ابتسـامها ∴ ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقطه

---

(1) لسان العرب ـ مادة (فخر) .

(2) لسان العرب ـ مادة (فتن) .

أرأيت كيف اختار الشَّاعران الدر أو اللؤلؤ مشبَّها به ؟ وحالهما في ذلك حال بشَّار الذي اختار الحلي وصفا لحديث المحبوبة ، فنفاسة المشبهات بها في هذا المقام خاصَّة تضفي على المشبَّهات ألوانا من الحسن والجمال .

يقول الزمخشري : " إن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد .. فإن كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثل به مثله ، وإن كان حقيرًا كان المتمثل به كذلك ، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا أمرًا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية " [1]

وفي قول بشار :

وكـــــأنَّ لفـــــظ حـــــديثها ∴ قطـــع الرِّيـــاض كُسَـــيْنَ زهـــرا

يشبه بشار كلام المرأة بقطع الرياض وقد كسيت زهرا ، والجامع أيضا بالغ الحسن وفرط الملاحة ، وهنا يرسم بشَّار لوحة فنيَّة رائعة ، كان عِمادها الألوان الزَّاهية ، وذلك مِن مُفردات الطَّبيعة حوله : (الرياض و الأزهار) واستطاع . رغم فقده حاسَّة البصر . أنَّ يستدعي صورة الطَّبيعة ، وأن ينقل إحساسه العميق بها ، وبما اشتملت عليه مِن ألوان زاهية تغذي العين ، وتضفي عليها جوًّا مِن الأنس والسُّرور .

وقد آثر الشَّاعر التعبير بقوله : (كُسَيْنَ زهرا) ومراده أنَّ الرياض تغطَّت بالأزهار ، للإشارة إلى كثرة هذه الأزهار ، فكما أنَّ الكساء للإنسان

---

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري . تح : عبد الرازق المهدي ١ / ١٣٩ . ط : دار إحياء التراث العربي .

يشتمله ويغطيه ، فكذلك الأزهار للرياض ، وممَّا يؤكِّد قصد الشَّاعر اختياره التعبير بصيغة الكثرة : (قطع الرِّياض كُسين زهرا) .

ثمَّ إنَّ بناء الفعل (كُسَيْنَ) لما لم يُسمَّ فاعله ، يجري مع هذا الغرض ، وهو الإشارة إلى انتشار الأزهار وكثرتها على صفحة تلك الرِّياض ، كثرة مِن شأنها أنَّها غطَّت ما تحتها وسترته .

هذا ، وتشبيه كلام المرأة بقطع الرياض كثير في شعر بشار خاصَّة ، تجد له مثلا قوله :

وحـــديث كأنـــه قِطَـــعُ الـــرو ∴ ض وفيـــه الصّـــفراءُ والحمـــراءُ

وله أيضا قوله :

كَـأَنَّ رِياضـاً فُرِّقَـت فـي حَـديثِها ∴ عَلـى أَنَّ بَـدواً بَعضُـهُ كَبُـرودِ

تُميـــتُ بِهـــا أَلبابَنـــا وَقُلوبَنـــا ∴ مِـــراراً وَتُحيـــيهِنَّ بَعـــدَ هُمـــودِ

ذلك؛ لأنَّ تكرار الألفاظ أو المعاني ظاهرة تلازم الشُّعراء العُميان [1] ، لكن لكلّ صورة مِن هذه الصور خُصوصية في بنائها ، وقد التقت الصُّور الثلاث عند التفصيل في جانب المشبه به فأوَّلها : لم يكتف بتصوير الحديث بقطع

(1) لقد سعى الشاعر الأعمى إلى التكرار لتأثير الصورة في إحساس المتلقي ووجدانه ، والتكرار في أغلبه واقع في الألفاظ دون المعاني ، يحاول الشاعر فيها تكرار المفردات المعينة التي تؤكد على مصطلح الرؤية في القصيدة الواحدة ليخلق جواً حضورياً بصرياً مستمراً للصورة في ذهن المتلقي . ينظر : الصورة الفنية عند الشعراء العميان في القرنين الثالث والرابع الهجريين للباحثة هبة محمد سلمان الجميلي . رسالة ماجستير . الجامعة الإسلامية . العراق . ٢٠١٠ م .

الرِّياض ، بل أضاف قيدا آخر ، وهو قوله: (كسين زهرا) والغرض تزيين الرياض؛ إذ إنَّ الزَّهر يكسو الرِّياض بألوانه الزاهية ، وينشر عبيره في أرجائها .

وثانيها : أيضا قد أضاف ذكر بعض ألوان الرياض حيث قال : (وفيه الصّفراءُ والحمراءُ) وهو يقصد زهور النرجس والشقائق ، ولا شكَّ أنَّ هذه الزهور بألوانها الزاهية تضفي على الرِّياض مزيدا من الحسن والجمال .

وثالثها : أضاف كذلك وصفا يبرز رغبة الشَّاعر في تجميل صوره الشِّعرية بالألوان الزَّاهية التي تمتع العين ؛ حيث قال : (عَلى أَنَّ بَدواً بَعضُهُ كَبُرودِ) فجعل زهور هذه الرِّياض تشبه الكساء المخطط بالألوان المختلفة .

يقول العقاد : " ترى من هذا الشغف بحديث المرأة أنَّه كان يسمع منه ويرى في وقت معا ، وأنه كان يشرك فيه حاستين بحظ حاسة واحدة ، ويصغي إليه أصواتا مسموعة ، ثمَّ يتصوره ألوانا منظورة فيها الصفراء والحمراء وأصباغ المطارف والأزهار والثمار ؛ لأنَّه كان يصرف الخيال إلى استيفاء ما فاته من حظ البصر " [1]

وهنا يجدر كذلك التنبيه على أنَّ استدعاء الشعراء العميان للألوان في صورهم الشعرية " دلالة على كل ما لهُ صلةٌ بالجمال أو في نقل حب الشاعر وصدقه ووفائه " [2]

---

(1) المجموعة الكاملة لمؤلفات عباس محمود العقاد . مراجعات في الآداب والفنون . عباس العقاد . ٢٥ / ٥٣٠ . ط : دار الكتاب اللبناني . مكتبة المدرسة . ط : أولى . ١٩٨٣ م .

(2) الصورة الفنية عند الشعراء العميان في القرنين الثالث والرابع الهجريين للباحثة هبة محمد سلمان الجميلي . رسالة ماجستير ص ١٤٠ . الجامعة الإسلامية . العراق . ٢٠١٠ م .

ثمَّ إنَّ الشاعر بعد أن أكمل رسم هذه الصُّورة الزَّاهية للرياض ، راح يستطرد في وصف بالغ تأثيرها على النَّفس ، مبرزا أنَّها تحيي القلوب وتميتها ، فقال :

تُميتُ بِها أَلبابَنا وَقُلوبَنا ∴ مِراراً وَتُحيِيهِنَّ بَعدَ هُمودِ

وهذا الاستطراد فيه فضل ملاحة كما ترى .

فالقالب الذي أفرغ فيه التشبيه في هذه الصُّورة الثالثة جيد السَّبك ، حسن النَّظم ، رصين المبنى ، بديع الرصف ، فهو أبلغ من سابقيه ؛ إذ إنَّ الشَّاعر هنا لم يقل : (كأن لفظ حديثها قطع الرياض) كما في صورة بشار الأولى ، ولم يقل : (حديث كأنَّه قطع الروض) كما في الصورة الثانية ، بل قال : (كأن رياضا فرقت في حديثها) ، فجعل الحديث ممتزجا بالرياض امتزاجا يصعب معه تمييز أحدهما أو فصله عن الآخر .

أمَّا النميرى فقد وصف الهيئة الحاصِلة لوقع كلام المحبوبة على الفتى المحب بهيئة سُقوطَ حصى المرجانِ من سِلْكٍ ناظِمٍ ، والوجه هيئة السقوط وتتابعه في كل ، وذلك في قوله :

إذا هُنَّ ساقَطْنَ الأحاديثَ للفتى ∴ سُقوطَ حصى المرجانِ من سِلْكِ ناظِمِ

رَمَيْنَ فأقْصدْنَ القلوبَ ولا تَرى ∴ دَماً مائِراً إلا دَماً في الحَيازِمِ

فالتشبيه مركَّب ، وهو أيضا مؤكَّد ، جاء على صورة المصدر ، فهو مِنْ أحسن ما يستعمل في باب التشبيه [1] .

هذا ، واصطفاء التعبير بقوله : (فأقصدن القلوب) يوحي ببالغ التأثير ومدى فعله في النفس ، ففي اللسان يقال : " أَقْصَدْتُ الرجلَ: إذا طَعَنْتَه أَو رَمَيتَه بسهم فلم تُخْطئْ مَقاتلَه ، فهو مُقْصَد " [1]

(1) المثل السائر ١/٣٧٩ .

ولفاء التعقيب هنا أثر في بناء المعنى ، حيثُ إنَّ اختيار حرف التعقيب يشي بسُرعة التأثير ، وأنَّه حصل مِن غير تراخ ، وكأنَّ الرَّمي وإصابته قد حصلا في آن واحد .

واختيار صيغة الجمع (القلوب) يتناغم لذلك مع التعبير بالفعل (فأقصدن) ، ويتناغم لفظا مع غيرها من جموع التكسير التي صاغها النميري في صورته التشبيهية من مثل : (الأحاديث ، حصى ، المرجان ، (سلك: جمع سُلكة ، وهي الخيط الذي يحمل الحصى) ، الحيازم) .

ومِن جمال النَّظم هنا تجد الشَّاعر قد صاغ التشبيه في ثوب الشَّرط ، ولأسلوب الشرط عامة مزية في بناء الكلام ؛ حيث إنَّه يمزج بين المعاني ويربط بينها برباط وثيق ، ويجعل الجمل في دلالته بمثابة المفردات في الجمل غير الشرطية [٢] .

وليس هذا فحسب ، بل تجد " في أسلوب الشرط طاقة بلاغية وشحنة قوية من إثارة الانتباه والترقب والانتظار ، والتطلع إلى مجيء جواب الشرط بعد استرسال النفس في إدراك معاني فعل الشرط في أول الجملة الشَّرطية ، فلا تزال النَّفس مندمجة في تأمّل معنى الشرط وفعله وجملته متأنية متفهمة واعية له في تأمل وانتظار لمجيء جوابه ، حتى إذا ما وصلت إلى الجواب ووصل إليها

---

(١) لسان العرب . مادة (ق ص د)

(٢) دلالات التراكيب . دراسة بلاغية للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى ص ١٩٩ . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : ثالثة . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

الجواب بعد طول غياب وانتظار وقع منها موقع الشيء المنتظر، فتمكن منها فضل تمكُّن ، وقر في أعماقها أي قرار " [1]

لكن يُؤخذ على الشَّاعر ذكر وتكرار لفظ (دما) في قوله : (ولا ترى دَماً مائِراً إلا دَماً في الحَيازِمِ) ، ففي ذكر الدم بشاعة ، ولاسيَّما في مقام الغزل .

اختلاف بنية المشبه به طولا أو قصرا أظهر ما يرصد كذلك من مظاهر اختلاف بين الصُّور التشبيهية .

ففي حين ترى بشارا قد آثر البنية القصيرة في قوله : (كَالحَلي حُسنُ حَديثِها) تجده قد آثر البنية الطويلة في قوله: (قطع الرِّياض كُسين زهرا) وأطول منها ما جاء في قوله :

كَـأَنَّ رِياضـاً فُرِّقَـت فـي حَـديثِها ∴ عَلـى أَنَّ بَـدواً بَعضُـهُ كَبُـرودِ

أمَّا النميرى فقد جاءت صورته في بيتين ، فبنية التشبيه التركيبية أطول :

إذا هُـنَّ سـاقَطْنَ الأحاديـثَ للفتـى ∴ سُقوطَ حصى المرجانِ من سِلْكِ ناظِمِ

ثمَّ إنَّ تنوُّع طريقة نظم وسَبك هذه الصور التشبيهيَّة ملمح واضح لكلّ ذي عينين ، فتجد لكلّ صورة قالبا يختلف عن الأخرى ما جعل لكلّ صُورة دلالة تختلف عن غيرها .

(١) راجع : مجلة الوعي الإسلامي ـ عدد (٢٧٣) ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م . موضوع بعنوان : (مع سورة الواقعة دراسة وتحليل فاتحة السورة) للدكتور / عبد الغنى الراجحي ص ٧٤ .

ففي حين اختار بشار تقديم المشبه به على المشبه في قوله : (كَالحَلي حُسنُ حَديثِها) راح يختار قالب التركيب في قوله : (قطع الرِّياض كُسين زهرا) .

والاستقصاء في الوصف مظهر يرى في هذه الصورة ، فالبيت أعقبه بقوله :

وكـــــأنَّ تحـــــت لســـــانها ∴ هـــاروتُ ينفـــث فيهـــا ســـحرا

وهو بذلك يبالغ في تصوير جمال الكلام ومدى تأثيره .

وهذا المعنى مسلوك متداول ، كما في قول الشاعر :

كـــأن بـــه هـــاروتَ ينْفُـــث سِـــحْرَهُ ∴ فلِلْقَـوْمِ إصْـغاءٌ إليـه وإطْـراقُ [1]

في حين تجده قد أبدع حين مزج بين المشبه والمشبه به في قالب واحد ، وهذا ما جعل عناصر الصورة التشبيهيَّة متداخلة في قوله :

كَـأَنَّ رِياضـاً فُرِّقَـت فـي حَـديثِها ∴ عَلـى أَنَّ بَـدواً بَعضُـهُ كَبُـرودِ

أمَّا النميري فقد وضع التشبيه في قالب التشبيه المركب كبشار ، لكنَّ سبكه وطريقة نظمه قد اختلفت عن بشار كثيرا ، حيثُ مزج بين عناصر صورته التشبيهية عن طريق الشَّرط ، وهذا المزج مكَّنه مِن إفراغ ما بداخله، واستقصاء المعنى الذي أراده ، والغرض الذي قصده ، مِن دون أن يشعر المتلقي بطول البنية كما ترى ، ويشعرك النميريّ عن طريق الشَّرط الذي مزج به بين عناصر صورته التشبيهية بعفوية التصوير ، وكأنَّ الصُّورة التشبيهية وردت عرضا لم يتعمَّده .

---

(١) نَفْحة الرَّيحانة ورَشْحة طِلاء الحَانة لمحمد أمين المحبي . تحقيق : عبد الفتاح محمد محمد الحلو . ٣ / ٥٩٨ . ط : دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه . ط : أولى . ١٩٦٨ م .

وفي قول البحتري :

فلمَّـــا التقينـــا والنَّقـــا موعـــدٌ لنـــا ∴ تعجَّب رائـي الـدُّرّ حُسناً ولاقطـه

فمـن لؤلـؤٍ تجلـوه عنـد ابتسـامها ∴ ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقطه

تجد سبك الصُّورة أيضا يختلف عن غيره من الصّور ؛ حيث ترى الشَّاعر قد اختار قالب التشبيه الضمني الذي يدرك من فحوى الكلام ، وهو طريق يسلكه صاحب البيان جامعا فيه بين الإمتاع والإقناع ليبعد التشبيه عن دائرة الابتذال ، إلى دائرة أبعد غورا ، وأسمى بيانا ، وأقرب إلى البلاغة .

والتشبيه الضِّمني هنا جليّ الدّلالة ، لا يغيب إدراكه على ذي فطنة ، ففي قوله: (فمن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامها) يشبه أسنانها باللؤلؤ في فرط الضياء والتلألؤ ، والأمر ذاته في قوله : (ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقطه) ، وفيه أيضًا يشبِّه الحديث باللؤلؤ ، يقول صاحب البلاغة العربية : " فجمع بين كلامها وأسنانها في أنَّهما يُشْبِهَانِ الدُّرَّ ، وفرّقَ بينهما بأنّ لؤلؤ أسنانها تَجْلُوه عند ابتسامها ، أمّا لؤلؤ كَلاَمِهَا فتُتَابِعُ إسقاطه مِن فمها ليلتقطه سَمْع من تحدّثه " [1] ويُسمَّى ذلك في علم البديع : الجمع مع التفريق ، وحدُّه عندهم : " أن تكون وحدات المعنى الْكُلّي الذي دلّ عليه المتكلم بعبارة ما تجتمع في حكم وتفترق في حكم آخر يَلْمَحُه أديبٌ فطِن بفطنته البلاغيَّة ، فيسوق تعبيره الأدبي

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد للدكتور عبد الرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني ٢ / ٤٢٢ . ط : دار القلم . دمشق . ط : أولى . ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦م

دالاً بِه على حُصُول الاجتماع من جهة الحكم الجامع ، وحصول الافتراق من جهة الحكم المختلف " [1]

أمَّا صُورة سلم الخاسر :

رَخْـصُ البَنَـانِ كـأن رَجْـعَ كلامِـهِ ∴ دُرٌّ يُسـاقطُه إلـيَّ لسـانُهُ

فإنَّ نظمها بديع ، حسن ، استطاع الشَّاعر بحسّه وذوقه أن يضع الصُّورة في دائرة السّمو البياني ، فلم يقتصر على تشبيه الحديث بالدرّ ، بل أتبعه بالوصف : (يُساقطُه إليَّ لسانُهُ) فالفعل (يساقطه) من صيغ المُفاعلة، وقد أفاد هنا المقابلة بالمثل ، وهذا يعني أنَّ كلامه مع صاحبته ، لم يقل حُسنا وجمالا عن كلامها ، وفيه أيضا إشارة إلى التحاور بينهما ، ويؤيّده إيثار التعبير عن الحديث بقوله : (رجع كلامه) إذ يقال : " راجَعه الكلامَ مُراجَعةً ورِجاعاً حاوَرَه إيَّاه ، وما أَرْجَعَ إليه كلاماً أَي ما أَجابَه ، وقوله تعالى: (يَرْجِعُ بعضُهم إِلى بعض القول) أَي : يَتَلاوَمُونَ ، والمُراجَعَة المُعاوَدَةُ، والرَّجِيعُ من الكلام المَرْدُودُ إِلى صاحبه " [2]

وفي الإسناد إلى اللسان : (يُساقطُه إليَّ لسانُهُ) مجاز عقلي ، علاقته الآلية، والغرض منه تصوير انتقال الحديث إليه من غير واسطة ، حاله حال من يصب إناء في إناء من غير واسطة .

وهنا نقف للتأكيد على فضل النَّظم أو السَّبك ، وأنَّه لا فضل لكلم على آخر إلا بذلك ، فبسببه تختلف الصنعة ، وتظهر الفضيلة ، ويبين السَّابق من

(١) البلاغة العربية للميداني ٢ / ٤٢٠

(٢) لسان العرب . مادة (ر ج ع) .

المسبوق ، وأنَّ الرُّكن الرَّكين الذي يركن إليه الناقد في المُفاضلة هو هيئة ترتيب الكلم ، وطريقة ضمِّه وتأليفه .

رحم الله الإمام عبد القاهر القائل : " وهل يقع في وهم ، وإن جهد ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم ، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ، أو أن تكون حروف هذه أخص ، وامتزاجها أحسن ، ومما يكد، اللسان أبعد ؟ وهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها " (١)

ومِن خلال صور هذا المبحث يجدر التنبيه على أنَّ الشُّعراء في العصر العباسي قد استطاعوا بحسّهم المرْهف ، وإحساسهم العميق ، أن يجعلوا مِن المسموع مُبصرا ، وأن يرسموا لوحات فنية للمسموع ، وقد استخدموا فيها بديع الألوان الزاهية ، وقد شاركتهم في ذلك الطبيعة على تنوُّع صورها وأشكالها ، وكأنَّهم أرادوا تشخيص المسمُوع وتجسيده قبل اختفائه ، وهذا أمر يشي بعظمة الإبداع والتميُّز .

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ٥٣.

المبحث الثالث
تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بشدة التأثير في النفوس في العصر العباسي .

المبحث الثالث :
تنوُّع المُشبَّه به في وصف كلام المحبوبة بشدة التأثير في النفوس في العصر العباسي .

لا يختلف اثنان على تأثير الحبيب وكلامه على نفس مَن يُحب (إنَّ المحب لمن يحب مطيع) [١] فللحديث على السَّمع والفؤاد وقع لا يوصف ، ألا ألا ترى قولهم :

فبتنا على رغم الحسود وبيننا ∴ حديثٌ كمثل المسك شيبت به الخمرُ

حديثٌ لو أنَّ الميت نودي ببعضه ∴ لأصبح حياً بعدما ضمه القبرُ

ومِن هنا رأينا علي بن العباس الرومي [٢]. عفا الله عنه . شاعر العصر العصر العباسي يشبه حديث محبوبته بالسِّحر في قوله :

وحديثُها السِّحْرُ الحلالُ لو أنّه ∴ لم يَجْنِ قتلَ الْمُسْلِمِ المتحرِّزِ

إن طال لمْ يمْلَلْ وإن هي أوْجَزتْ ∴ ودّ المحدِّث أنها لم تُوجِزِ

شَرَكُ العقول ونُزْهَةٌ ما مِثْلُها ∴ للمطمئن وعُقلة المستوفز [٣]

في حين وصفه البحترى [٤] بالغيث وذلك في قوله :

---

(١) عجز بيت لمحمود الوراق وصدره : (لو كان حبك صادقاً لأطعته) ينظر : الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٢ / ٥١٣ .

(٢) هو : علي بن العباس بن جريج ، من طبقة بشار والمتنبي ، رومي الأصل ، كان جده من موالي بني العباس ، ولد ونشأ ببغداد ، ومات فيها مسموما عام ٢٨٣ هـ . ينظر : الأعلام للزركلي ٤ / ٢٩٧ .

(٣) الشَّرَكُ : حبائل الصائد ، وكذلك ما ينصب للطير ، واحدته شَرَكَة . ينظر : لسان العرب . مادة (شرك) وَفَزٌ واستَوْفَزَ في قِعْدَتِه إذا قَعَدَ قُعُوداً منتصباً غير مطمئن .. الوَفْزَةُ أَن تَرَى الإنسانَ مُسْتَوْفِزاً قد اسْتَقَلَّ على رجليه ولما يستو قائماً وقد تهيأَ للأَفْزِ والوُثُوبِ والمُضِيِّ . ينظر : لسان العرب . مادة (وفز)

(٤) هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبي ، وأبو تمام ، والبحتري ، ولد بمنبج (

أَيــنَ الَّتــي كانَــت لَــواحِظُ طَرفِهــا ∴ يَصبو إِلَيها القَلبُ وَهيَ سِهامُ

وَحَــديثُها كَالغَيــثِ جــادَ بِوَبلِــهِ ∴ في حادِثِ المَحلِ الشَديدِ غَمامُ [1]

في الصُّورة الأولى يشبِّه ابن الرومي حديث المحبوبة بالسِّحر الحلال في تصوير مدى التأثير البالغ بالنَّفس ، مؤثرا حذف الوجه والأداة؛ ليكون حذف الوجه دليلا على عُموم التشابه ، وإبراز أنَّ الحديث يشبه السِّحر في كلّ شيء ، مع ما في حذف الأداة مِن الإشارة إلى الاتحاد التام بين الطرفين .

والاستدراك عن طريق الشرط بقوله :

..... لـو أنّـه ∴ لـم يَجْـنِ قتـلَ الْمُسْـلِمِ المتحـرِّزِ

يغري السَّامع بالحديث ، حيث أفاد فرط المبالغة في تأثير الحديث على النَّفس ؛ إذ أسند إليه إمكان قتل المُسلم العفيف الذي يحجز نفسه عن موجبات القتل ، وعندي أنَّ الإيغال بلفظة (المتحرز) أفاد عذر المقتول ، ونفي اللوم عنه ، وبيان أنَّ حصول القتل ليس بسببه ، وأنَّ وراءه قاتل آخر يتحمل وحده ما أسماه جناية القتل وهو الحديث .

بين حلب والفرات) عام ٢٠٦ هـ ، ورحل إلى العراق ، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفي بمنبج ٢٨٤ هـ . ينظر الأعلام للزركلي ٨ / ١٢١ .

([1]) ديوان البحتري . تح : حسين كامل الصيرفي٤ / ٢١١١ . ط : دار المعارف . ١٩٦٣ م .

الويل : المطر الشديد الضخم القطر . ينظر : المعجم الوسيط . مادة (و ب ل) . . المَحْل : الجدبُ وهو انقطاع المطر ويُبْسُ الأَرض من الكَلإِ . ينظر : لسان العرب . مادة (محل).

ثمَّ راح ابن الرومي يستطرد في وصف محاسن هذا الحديث ، حيث وصفه بالحُسن والقبول في حالتي الإطالة والإيجاز ، فقال :

إن طـال لـمُ يمْلَـلْ وإن هـي أوْجَـزتْ ∴ ودّ المحـدِّث أنهـا لـم تُـوجِزِ

وهذا الوصف ينظر من بعيد لقوله : (وحديثها السحر الحلال) فإنَّ قوله :

..... وإن هـي أوْجَـزتْ ∴ ودّ المحـدِّث أنَّهـا لَـم تُـوجِزِ

يشي بحسن الحديث ، وأثره الطيب على نفس السَّامع .

ولا يحطُّ من شأن البيت ما يروى عن ابن الرومي أنه قد تناول قوله : (ودّ المحدِّثُ أنَّها لم توجزِ) من بعض المُتقدمين ، وهو قوله :

مـن الخفِـراتِ البِـيض ودّ جليسُـها ∴ إذا ما قضَتْ أحدوثةً أن تعيدَها [1]

(١)

ولعلَّه قول في غير موطنه ؛ لأنَّنا إنْ دقَّقنا النَّظر رأينا اختلافا دقيقا في المعنى بين البيتين ، فابن الرُّومي يُشير إلى حُسن الحديث بودّ المحدث الإطالة والإسراف في الحديث ، أمَّا ما نُسب إلى الأخطل فإنَّه يُشير إلى حُسن الحديث بودّ الجَليس الإعادة والتكرار .

ثمَّ إنَّ حب مجالسة الحبيب ، ولذَّة الاستماع إلى حديثه ممَّا هو " في حكم الغرائز المركوزَةِ في النفوس ، والقضايا التي وُضع العلم بها في القلوب "[2]، فليس إذا هذا المعنى الذي نرجِّح أنَّه مِن المعاني المحفورة في النفوس " دُرّاً في

---

(١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين . المؤلف : الخالديان . تح تح : د السيد محمد يوسف ١ / ٥٥ . ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
خفرت خفرا : اشتد حياؤها فهي خفرة و خفير . المعجم الوسيط . مادة (خفر) .

(٢) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ٣٣٩ .

قَعر بحر لا بدّ لهُ من تكلُّف الغَوَص عليه ، وممتنعاً في شاهقٍ لا ينالُه إلاّ بتجشّم الصُّعود إليه ، وكامناً كالنار في الزَّند ، لا يظهر حتى تقتدحه ، ومُشابكاً لغيره كعُرُوق الذهب التي لا تُبدِي صَفْحتها بالهُوَيْنَا ، بل تُنال بالحَفْرِ عنها ، وتعرِيقِ الجبين في طلب التمكّن منها " [1]

ولا نغفل كذلك أنَّ " اتفاق بيتين في معنى لا بدَّ أن يقوم بينهما خلاف في أدائه ، ونظمه ، وهيئة تعبيره ، ما دامت الجملة يتغير نظمها بمجرد تغيُّر ترتيب ألفاظها " [2] .

أمَّا قوله :

شَـرَكُ العقـول ونُزْهَـةٌ مـا مِثْلُهـا ∴ للمطمـئن وعُقلـة المسـتوفز

فعنده يتنامى المعنى الذي أراده الشَّاعر ، وهو تصوير مدى تأثير حديث الحبيب على النَّفس ، فالمعنى ـ كما ترى ـ لم يقف ، ولم يكن جامدا ، عند الوصف بالسِّحر الحلال في البيت الأول ، بل تحرَّك حركة بعيدة نحو الأمام ، حيثُ تراه يصف الحديث هنا في ثالث أبيات الصُّورة بالقنص والصيد في قوله: (شرك العقول) ، حيث تراه قد أضفى على الحديث صفة الضَّبط والتمكُّن والتحكُّم بالنفس ؛ إذ جعله كالحبائل التي تنصب للفرائس ، والتي تُمكِّن الصَّائد من الظَّفر بحاجته .

وأمَّا قوله : (ونزهة ما مثلها للمطمئن) فيتناسب فيه وصف الحديث بالنزهة مع حال المحدث بالمطمئن ؛ لأن مادة (نزه) تدور حول معنى البعد ،

---

(1) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ٣٤٠ .

(2) رؤية فنية في دراسة النص الأدبي ـ د ماهر حسن فهمي ـ ص ٩ ـ مجلة حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ـ قطر ـ العدد الرابع ـ ١٩٨١ م .

فإن وجود النفس في مكان يبعد عن غيره من الناس مشعر بالراحة والطمأنينة والسكون ولاسيما في رفقة الأحباب ، ففي اللسان : " سَقى إبلَهُ ثم نَزَهَها نَزْهاً باعدها عن الماء وهو بنُزْهةٍ عن الماء أَي بُعْد وفلان نزِيهٌ أَي بعيد وتنَزَّهُوا بحُرَمِكُم عن القوم تباعدوا وهذا مكان نزِيهٌ خَلاء بعيد من الناس ليس فيه أَحد فأَنزلوا فيه حُرَمَكُمْ ونُزْهُ الفَلا ما تباعد منها عن المياه والأَرياف" [1]

وقوله : (ما مثلها) مبالغة في وصف النزهة كما ترى .

ويأتي قوله : (وعقلة المستوفز) أيضا امتدادا لقوله : (شرك العقول) يقال : " لفلان عُقْلةٌ يَعْقِلُ بها الناس يعني أَنه إذا صارَعهم عَقَلَ أَرْجُلَهم " [2] ، وهذا يشي بشدة التمكن وحدته ، ويترجم كذلك تحرّك المعنى وتقدمه ، فكلمة العقل يدور معناها حول الحبس والمنع ، ففي اللسان : " رَجُل عاقِلٌ وهو الجامع لأَمره ورَأْيه ، مأْخوذ من عَقَلْتُ البَعيرَ إِذا جَمَعْتَ قوائمه ، وقيل العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها أُخِذَ من قولهم قد اعْتُقِل لِسانُه إِذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ " [3]

وبين (المطمئن والمستوفز) تضاد يوضِّح المعنى الذي عناه الشَّاعر وهو بيان فضل الحديث ، وأثره على النَّفس في حالين متناقضين ، وفي التقاء التضاد وحسن التقسيم من الحُسن ما لا يخفى .

ويُحسب للصُّورة أنَّها استقصت المعنى ، فلم تترك فيه بقية ، وهذا يترجم طول نفس الشاعر الشعري ، يقول ابن رشيق : " كان ابن الرومي ضنيناً

---

(1) لسان العرب . مادة نزه .

(2) لسان العرب . مادة عقل .

(3) لسان العرب . مادة عقل .

بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية ، حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد "[1]

وفي هذه الصورة موضع الشاهد ، يقول ابن أبي الإصبع ، وقد أورد هذه الأبيات تحت ما أسماه الاستقصاء [2] : " فانظر إلى كون هذا الشاعر وصف حديث هذه المحبوبة بنهاية الوصف الحسن اللائق بمثله ، حيث قال : وحديثها السِّحر الحلال ، لفعله في العقول فعل السِّحر ، وجعله حلالاً لصدق الوصف ، وليضمن كلامه في صفته معنى قول الرَّسول صلى الله عليه وسلم : (إنَّ مِن البيان لسحراً) فإنَّ سحر البيان سحر حلال ، ثم رجع فاستدرك فيه، فقال :

..... لو أنّه ∴ لم يَجْنِ قتلَ الْمُسْلِمِ المتحرِّزِ

لكون قتل المسلم بغير حق حرام ، فحصل في البيت طباق معنوي ، فكأنه قال سحر حلال لو لم يجن حراما ، فطابق بين الحلال والحرام وأحدث براءة المسلم المقتول بالحديث من الإيغال الذي في قافية البيت ، وهو قوله : المتحرز ؛ لأنَّ المتحرز لا يقع في شيء من موجبات القتل ، وفي ذلك مبالغة في وصف الحديث بإفراط الالتذاذ الذي يزهق حبه النفس ، ثم فكر فيما يعرض

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ٢ / ٢٣٨ . ط : دار الجيل . بيروت .

(2) عرَّفه بقوله : أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه إلى أن لا يترك فيه شيئاً . ينظر : تحرير التحبير لابن أبي الأصبع . تح : حفني محمد شرف . ٤ / ٥٤٠ . ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

من الملل بسبب ، طول الحديث فاحترس عن تلك بقوله : (إن طال لم يملل)، ثمَّ رأى أنه متى اقتصر على وصفه بالحُسن حالة الإطالة دون الإيجاز كان مقصراً ، فقال : وإن هي أوجزت إلى آخر البيت ، ثمَّ أراد وصفه بميل النفوس إليه إما اضطراراً أو اختياراً فقال في الميل الاضطراري : شرك العقول ، فأخبر أنه يصيد العقول قنصاً ، ثم قال في الميل الاختياري مقسماً له قسمين حاصرين في حالتي الريث والعجل :

..... ونُزهْـةٌ مـا مِثْلُهـا ∴ للمطمـئن وعُقلـة المسـتوفز

وليس للمختار حالة زائدة على هاتين الحالتين إما أن يكون مطمئناً ، أو مستوفزاً ، فإن كان مطمئنا كان هذا الحديث نزهته ، وإن كان مستوفزاً كان عقلته ، فلم يبق في هذا المعنى مقالاً لمن بعده " [1]

فالصورة كما ترى بديعة النَّظم ، حسنة السَّبك ، قد جمعت الكثير من فنون البلاغة كالتشبيه والتضمين والطباق والإيغال والاحتراس والمبالغة وحسن التقسيم والاستقصاء ، وكيف لا وقد عدَّت مِن أجود ما قيل في وصف الحديث قديماً وحديثاً ؟ وقيل عنها : إنَّها نهاية ما قيل في هذا الباب [2].

هذا ، والتضمين في قوله : (السِّحر الحلال) ، ولفظ المُسلم في قوله: (المسلم المتحرز) يبرز تأثر الشاعر بالعقيدة الإسلامية ، وأنَّها حاضرة في ذهنه لا تغيب ، فابن الرومي قد " كان مسلما صادق الإسلام ، ولكنه كان

(1) تحرير التحبير ٤ / ٥٤١

(2) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ص ٥٥ .

شيعيا معتزلا قدريا ، يقول بالطبيعتين ، وهي أسلم النحل التي كانت شائعة في عهده من حيث الإيمان بالدين " [1].

وفي الصورة الثانية :

أَيــنَ الَّتــي كانَــت لَــواحِظُ طَرفِهــا ∴ يَصبو إِلَيها القَلبُ وَهيَ سِهامُ

وَحَــديثُها كَالغَيــثِ جــادَ بِوَبلِــهِ ∴ فــي حادِثِ المَحلِ الشَديدِ غَمامُ

وصف البحترى كلام المحبوبة بالغيث ، وذلك لإبراز أثره ، وتبيان نفعه على النفس ، وكيف لا والغيث عنوان النفع ، ورمز العطاء ، وأصل الخير ، وأساس الجود ؟ فالمعهود عن أصحاب البيان أنَّهم يشبِّهون " بالغَيْث لعمومِ إفْضالِه ، وأنّه لا يشُحُّ بنوالِه ، كما يعُمّ الغيثُ بتهطالِه ، ولا ينْحَلُّ بريِّقِ سَلْسالِه " [2]

وتشبيه الحديث بالغيث في إفادة النفع قريب مبتذل ، إلا أنَّ الشَّاعر أضاف إلى المشبه به عدّة أوصاف رفعت من قدر الصُّورة ، وأحالتها مِن القرب والابتذال إلي البُعد والغرابة ، فتراه قد وصف الغيث بالجود في قوله : (جاد بوبله)، وقد عبَّر بالماضي لتأكيد تحقّقه ووقوعه ، ثمَّ أضاف محل هطوله بقوله : (في حادِثِ المَحلِ الشَديدِ)؛ ليؤكِّد على مدى الحاجة لهذا الوبل الغزير ؛ لأنَّ تلك الأرض في يُبس شديد ، وظمأ فادح ، ولا شكَّ أنَّ غرض الشَّاعر ومقصده في نفسه هو عودة هذا الوصف على المشبَّه (حديث المحبوبة) ،

---

(1) ابن الرومي حياته من شعره للعقاد . ص ١٦٤ . ط : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . القاهرة . من دون تاريخ .

(2) نضرة الإغريض في نُصْرَة القرِيض . المظفر بن الفضل (ت ٦٥٦ هـ) . تح : د نهى عارف الحسن ص ٤٣٩ . ط : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

فإذا كان للقطر تأثير بيِّن على هذه الأرض المظماء لأنَّه يحييها، فإنَّ للحديث أيضا على النَّفس تأثيرا كبيرا ، فحال الحديث على نفس المحبّ يُشبه حال الغيث على الأرض اليابِسة فالغرض من التشبيه بيان الحال .

هذا ، وصورة البحتري قريبة المعنى من قول ذي الرُّمة شاعر العصر الأُموي القائل :

وإنّا لنُجْري بَيْننا حينَ نَلْتقي ∴ حديثاً له وَشْيٌ كوشْيِ المَطَارفِ

حَديثاً كوَقعِ القَطْرِ في المَحْلِ يُشْتَفى ∴ بهِ من جوىً في داخِلِ القلبِ لاَطِفِ [1]

فترى ذا الرمة قد جعل وقع الحديث على النَّفس كوقع المطر على الأرض المظْمَاء اليابسة ، وهذا يعني مدى الحاجة وشدة التأثير ، فالمطر سوف يُحييها من مماتها ، ويُحسب لصورة ذي الرمة أنَّها وصفت حال القلب قبل حديث المحبوبة وبعده (يُشْتَفى بهِ من جوىً في داخِلِ القلبِ لاَطِفِ) فقبله أصابته حرقة قد تمكَّنت في داخله ، وبعده حصل له الشِّفاء .

---

(1) البيت لذي الرمة في الحماسة البصرية . أبو الحسن البصري ـ تح : مختار الدين أحمد ٢ / ٨٦ . ط : عالم الكتب . بيروت . ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م .

ووَشى الثوبَ وَشْياً وشِيةً حَسَّنَه ووَشَّاه نَمْنَمَه ونَقَشَه وحَسَّنه . ينظر : لسان العرب . مادة (و ش ى) . المطرف : رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام وجمعه مطارف . ينظر : المعجم الوسيط . مادة (طرف) . أَرض مَحْلٌ وقَحْطٌ لم يصبها المطر في حينه .. القطر : المطر . ينظر : المعجم الوسيط . مادة (قطر) . المَحْل : الجدبُ وهو انقطاع المطر ويُبْسُ الأَرض من الكَلإِ . ينظر : لسان العرب . مادة (محل) . فلان جوى مرض صدره و ضاق صدره و تطاول مرضه و اشتد وجده من عشق أو حزن . ينظر : المعجم الوسيط . مادة (جوى) والجَوَى الحُرْقة وشدَّة الوَجْدِ من عشق أَو حُزْن تقول منه جَوِيَ الرجل بالكسر فهو جَوٍ . ينظر : لسان العرب . مادة (جوى) .

أمَّا صُورة البُحتري فلم تتعرَّض لوصف القلب عقب حديث المحبوبة ، وفصَّلت القول في جانب الغيث المُقابل للقلب فحَسب ، ولعلَّ قوله في وصف جمال طرفها ما يُغني عن ذلك ، فقبل البيت قوله :

أَيــنَ الَّتــي كانَــت لَــواحِظُ طَرفِهــا ∴ يَصبو إِلَيها القَلبُ وَهيَ سِهامُ

فانظر تجده قد تعرَّض لصبوة القلب إلى تلك العُيون الجميلة المؤثرة التي تُشبه وقع السِّهام بجامع النفاذ أو الإصابة أو شدة التأثير في كلّ .

فـ " المتقدمون وإن كانوا افتتحوا القول وفتحوا للمحدثين الباب ونهجوا لهم الطريق فكان لهم فضل السَّبق واستئناف المعاني وصعوبة الابتداء فإن هؤلاء قد أحسنوا التأمل وأصابوا التشبيه وولدوا المعاني وزادوا على ما نقلوا وأغربوا في ما أبدعوا " [1]

هذا ، والنَّاظر لصورتي ابن الرومي والبحتري يجد أنَّ مادة المشبَّه به قد اختلفت ، فابن الرومي اختار السِّحر الحلال ، وهو أمر معقول ، والبحتري اختار نزول الغيث على الأرض المظماء ، وهو أمر محسُوس مبصَر ، وكلاهُما قد أبدع في تصوير مدى تأثير حديث المحبوبة على النَّفس كما مرّ .

ففي صورة التشبيه هنا جمع بين مختلفين ، وهذا سر من أسرار جماله ، يقول الإمام عبد القاهر : " واعلم أني لست أقول لك إنك متى أَلَّفتَ الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييدٍ وبعد شرطٍ ، وهو أن تصيبَ بين المختلفين في الجنس ، وفي ظاهر الأمر شبهاً صحيحاً معقولاً ، وتجد للمُلاءمة والتأليف السويّ بينهما مذهباً

(1) التشبيهات لابن أبي عون . عني بتصحيحه / محمد عبد المعيد خان . ص ٧٤ . ط : مطبعة جامعة كمبردج . من دون تاريخ .

وإليهما سبيلاً ، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك ، من حيث العقل والحَدْس ، في وضوح اختلافهما من حيث العَين والحِسّ .. " [1]

أمَّا عن بنية الصورة التشبيهية ، فالطول كان سمت البناء في كُلٍ ، فابن الرومي آثر استقصاء المعنى ، والبحتري آثر طريق التركيب كما بيَّنا آنفًا ، لكن نفَس ابن الرومي كان الأطول .

وهكذا تبين للناظر أن شعراء عصر بني العباس نظروا إلى كلام المحبوبة من جهات مُختلفة وزوايا متعددة ، فقد نظروا إلى استطابته وحلاوته حينا ، وإلى حسنه وعذوبته حينا ، وإلى تأثيره في النفس حينا آخر ، وهذا أمر يشي بسعة خيالهم ، وعمق رؤاهم ، وكيف لا ؟ وعصرهم من أزهى عصور الأدب وأزكاه ، وأكثره بهاء .

(1) أسرار البلاغة ص ١٥١

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات ، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع من سار على دربهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين . أمَّا بعد :

فقد تعرَّضت هذه الدِّراسة لبيان أثر تنوُّع المشبه به في وصف كلام المحبوبة في العصر العباسي ، وقد كان أمام هذه الدِّراسة عدة بواعث سرت نحوها ، من أهمها : الرغبة في استنطاق التشبيهات لاستنباط ما تكنّه في ذاتها ، وذلك من خلال تحليلها تحليلا بلاغيا يبرز جماليات التراكيب والأساليب على تنوعها وتعدد طرقها ، ويبين دقائق مفرداتها ، ومنها أيضا : بيان منازع شعراء بني العباس في تشبيهاتهم المختلفة لكلام المحبوبة ، وبيان سمت التشبيه وخصائصه في هذا الصَّدد .

وقد خلصت الدِّراسة إلى نتائج ، أعدِّد منها ما يأتي :

أولا : يُعدُّ التشبيه مِن أرفع فنون البلاغة ، وأدقَّها إبانة عمَّا في النفوس ، وأحلاها بيانا ، وأوضحها تصويرا ، وكيف لا والتشبيه مِن البلاغة بمنزلة العين مِن الرأس ؟! .

ثانيا : يجدر التأكيد على أهمية دراسة مظاهر اختلاف الشعراء في المعاني المُشتركة بينهم ورصد أشكال التعبير المتباينة بينهم ، فهو باب من أجلِّ دروس البلاغة التي أولاها الإمام عبد القاهر الجرجاني عناية فائقة ، وهو لا يزال مطوي البساط يحتاج إلى كثير من الجهد والمُدارسة .

ثالثا : من أبرز أشكال التنوع في هذه التشبيهات موضع الدراسة : اختلاف مادة المشبَّه به ، واختلاف بنيته التركيبيَّة طولا أو قصرا ، تقييدا أو إطلاقا ، وهما يعدان الأساسان الرئيسان اللذان اعتمدت عليهما تلك الدراسة .

رابعا : سجلت التشبيهات الذي وردت هنا في سياق وصف حديث المحبوبة تساوقها مع كثير من فنون البلاغة ، ولاسيما المبالغة، فقد تسايرت مع التشبيه كثيرا في طريق توضيح المعاني ، والإبانة عما في النفس .

خامسا : كما أنَّ من أهم ما يميز الشَّاعر عن غيره ممَّن تحدَّثوا معه في الغرض ذاته والمعنى نفسه هو هيئة تشكيل الصُّورة الشعرية ، وكيفية رصفها، وطريقة بنائها .

سادسا : إن اختلاف نظم الصورة واختلاف بنيتها التركيبية ، وتنوع القيود التي تدخل على التشبيهات ، إنَّما يمثل ذلك طريقة الشاعر الخاصة ، ويبين ميسمه الذي يميزه عن غيره من ذوي جنسه ، فهو المائز الرئيس الذي يميز بين شعر وآخر ، فمستوى الإجادة في التعبير على قدر التأنق في النظم .

سابعا : إنَّ تنوع التشبيهات التي اتخذت مِن الحديث عن وصف حديث المرأة يعكس مدى افتنان الشُّعراء في العصر العباسي بجميل حديثها ، وسحر كلامها، وأنَّ لحديث المرأة مع الرجل أثرًا بعيدا في النَّفس .

ثامنا : بيَّنت هذه الدِّراسة منازع شعراء بني العباس في تشبيهاتهم المختلفة لكلام المحبوبة ؛ إذ أبرزت هذه الدِّراسة أنَّهم قد استلهموا مظاهر الطبيعة في صورهم التشبيهية ، وفي تجسيدهم لانفعالاتهم المختلفة ، وأنَّ الطبيعة كانت

في ذاكرتهم وأفئدتهم يستحضرون منها المشاهد والصور متى احتاجوا إلى ذلك .

تاسعا : الشُّعراء في العصر العباسي قد استطاعوا بحسّهم المرْهف ، وإحساسهم العميق ، أن يجعلوا مِن المسموع مُبصرا ، وأن يرسموا لوحات فنية للمسموع ، وقد استخدموا فيها بديع الألوان الزاهية ، وقد شاركتهم في ذلك الطَّبيعة على تنوُّع صورها وأشكالها ، ولعل هذا يعتبر خصيصة لتلك التشبيهات .

عاشرا : بدا تأثر شعراء بني العباس في تصويرهم لكلام المحبوبة بمن تقدَّمهم من شعراء العصور السابقة ، وأبرزت هذه الدراسة أنَّهم قد استفادوا من أدب سلفهم ، واستقوا من تراثهم.

حادي عشر : أبرزت الدراسة سعة خيال شعراء عصر بني العباس وعُمق رُؤاهم ، وهذا ما ترجمته تلك الجهات المختلفة التي نظروا إليها في كلام المحبوبة ، فقد نظروا إلى استطابته وحلاوته حينا ، وإلى حُسنه وعُذوبته حينا ، وإلى تأثيره في النفس حينا آخر ، وقد كان للتشبيهات التي صورت كلام المحبوبة في شعر بشار خاصة حضور جلي ينبئ عن علو كعبه وتفرده في هذا الميدان .

ثاني عشر : أبرزت الدراسة أن المرأة في كل عصر ومصر وسيلة مهمة من وسائل الوحي والإلهام الشعري ، ورافد رئيس من روافده ، بما تُثيره من أحاسيس ومشاعر وعواطف جياشة لدى أولئك الشعراء الذين يشعرون بسحر جمالها وأنوثتها .

وبعد :

فهذا جهد المقل ، وحسْب الباحث فيه صدق النِّية ، ونبل القصد ، إنْ فاته حُسن العمل ، سُبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

يرحم الله أَبا عليٍّ البصير القائل :

لعمر أبيك ما نُسبَ المعلَّى ∴ إلى كرمٍ وفي الدُّنيا كريمُ

ولكنَّ البلاد إذا اقشعرَّتْ ∴ وصوّحَ نبتُها رُعيَ الهشيمُ [1]

(1) شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي . هامش ص ٤٣٩ . ط : المكتبة التجارية . القاهرة . ط : أولى . ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .

فهرس المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

📖 أشعار المرأة في العهد القديم . دراسة تحليلية نقدية لقصيدتي مريم ودبورة . د / محمد مدبولي عبد الرازق . مجلة رسالة المشرق . مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة . المجلد ٢٥ . العدد٣ ، ٤ . ٢٠١٠ م.

📖 ابن الرومي حياته من شعره للعقاد . ط : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . القاهرة .

📖 أساس البلاغة للزمخشري . ط : دار الفكر . ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩م.

📖 أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني . قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر . ط : دار المدني بجدة .

📖 الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين . المؤلف: الخالديان . تح : د / السيد محمد يوسف . ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

📖 الأعلام . قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي . ط : دار العلم للملايين . الطبعة : الخامسة عشرة . ٢٠٠٢ م .

📖 الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . تح : سمير جابر . ط : دار الفكر . بيروت . الطبعة الثانية .

📖 الأمالي في لغة العرب . تأليف : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م .

📖 الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني . تح : بهيج غزاوي . ط: دار إحياء العلوم . بيروت . ط : الرابعة . ١٩٩٨ م .

📖 البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد

من طريف وتليد للدكتور عبد الرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني . ط : دار القلم . دمشق . ط : أولى . ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦م .

📖 البيان والتبيين للجاحظ . تح : فوزي عطوي . ط : دار صعب . بيروت .

📖 تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي . ط : دار الهداية .

📖 تحرير التحبير لابن أبي الأصبع . تح : حفني محمد شرف . ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

📖 التشبيهات لابن أبي عون . عني بتصحيحه / محمد عبد المعيد خان . ط : مطبعة جامعة كمبردج . من دون تاريخ .

📖 الحماسة البصرية . أبو الحسن البصري . تح : مختار الدين أحمد . ط: عالم الكتب . بيروت . ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م .

📖 حول الإعجاز البلاغي للقرآن . قضايا ومباحث د حسن طبل . ط : مكتبة الإيمان . المنصورة . ط : أولى . ٢٠٠٥ م .

📖 الخصائص لابن جني . تح : محمد علي النجار . ط : عالم الكتب . بيروت

📖 دلالات التراكيب . دراسة بلاغية للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : ثالثة . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

📖 دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني . تح : د / التنجي . ط : دار الكتاب العربي . بيروت . ط : أولى . ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م .

📖 ديوان ابن الرومي . تح : د / حسين نصار . ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية . ١٩٩٣ م .

📖 ديوان البحتري . تح : حسين كامل الصيرفي . ط : دار المعارف . ١٩٦٣ م .

📖 ديوان البحتري . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٠٧ هـ .

١٩٨٧ م.

📖 ديوان بشار . جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور . ط : وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية . ٢٠٠٧ م .

📖 ديوان بشار . شرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور . ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٥٧ م .

📖 رؤية فنية في دراسة النص الأدبي . د ماهر حسن فهمي . مجلة حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية . قطر . العدد الرابع . ١٩٨١ م .

📖 سمت البناء التركيبي لسورة الطلاق للباحث . حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا . عدد ١٤ . ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م .

📖 سمط اللآلئ . نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه (ذيل اللآلئ في شرح ذيل أمالي القالي) : عبد العزيز الميمني . ط : دار الكتب العلمية .

📖 شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي . قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر . ط : دار الكتاب العربي . بيروت . ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م .

📖 شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي . ط : المكتبة التجارية . القاهرة . ط : أولى . ١٣٤٨ هـ . ١٩٣٠ م .

📖 شعر أبي حية النميري . جمعه وحققه د يحيى الجبوري . ط : منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق . ١٩٧٥ م .

📖 صور المعنى الواحد بين حسان بن ثابت وكعب بن مالك ﷺ في ديوانيهما "دراسة بلاغية . رسالة دكتوراه . مخطوطة . للباحث : مصطفى محمد حجاب حسانين . كلية اللغة العربية بأسيوط . ٢٠١٧ م .

📖 الصورة الفنية عند الشعراء العميان في القرنين الثالث والرابع الهجريين

للباحثة هبة محمد سلمان الجميلي . رسالة ماجستير . مخطوطة . الجامعة الإسلامية . العراق . ٢٠١٠ م .

📖 الطراز للعلوي . تح : د عبد الحميد هنداوي . ط : المكتبة العصرية . بيروت . ط : أولى . ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م .

📖 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : دار الجيل . بيروت .

📖 فن التشبيه . بلاغة . أدب . نقد . للشيخ علي الجندي . ط : مطبعة نهضة مصر . ط : أولى . ١٩٥٢ م .

📖 فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي . تح : علي محمد بن يعوض الله /عادل أحمد عبد الموجود . ٥٨٣ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ٢٠٠٠ م .

📖 الكامل . تأليف أبو العباس محمد بن يزيد المبرد . تح : د/ محمد أحمد الدالي . ط : مؤسسة الرسالة . الثانية . ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م .

📖 كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبي هلال العسكري . تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . ط : المكتبة العصرية . بيروت . ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م .

📖 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري . تح : عبد الرازق المهدي . ط : دار إحياء التراث العربي .

📖 لباب البيان د : محمد حسن شرشر . ط : دار الطباعة المحمدية . ط : ثانية . ١٩٨٠ م .

📖 لسان العرب . ط : دار صادر . بيروت . ط : أولى . د ت .

📖 المبالغة في الصورة البيانية . د / أيوب عبد العزيز بدران . حولية كلية

الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة . جامعة الأزهر . العدد الأول . ١٩٨٣ م .

📖 المثل السائر لابن الأثير . تح : محمد محي الدين عبد الحميد . ط : المكتبة العصرية للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٩٥ م .

📖 مجلة الوعي الإسلامي ـ عدد (٢٧٣) ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م . موضوع بعنوان : (مع سورة الواقعة دراسة وتحليل فاتحة السورة) للدكتور/ عبد الغنى الراجحي .

📖 المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد . مراجعات في الآداب والفنون . ط : دار الكتاب اللبناني . مكتبة المدرسة . ط : أولى . ١٩٨٣ م .

📖 المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسريّ بن أحمد الرَّفاء . دمشق . ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٦م .

📖 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي . ط : المكتبة العلمية . بيروت . من دون تاريخ .

📖 مظاهر اختلاف عناصر الصورة التشبيهية بين ابن الرومي وابن المعتز في وصف الظواهر الكونية والخمر للباحث . رسالة ماجستير . مخطوطة . كلية اللغة العربية بأسيوط . ٢٠١٠ م .

📖 المعجم الوسيط . تأليف : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار . تحقيق : مجمع اللغة العربية . ط : دار الدعوة . د ت .

📖 مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب . أمين الخولي. ط : دار المعرفة . القاهرة . ط : أولى . ١٩٦١ م .

📖 نضرة الإغريض في نُصْرَة القرِيض . المظفر بن الفضل . تح : د نهى

عارف الحسن . ط : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

📖 نَفْحة الرَّيحانة ورَشْحة طِلاء الحَانة لمحمد أمين المحبي . تح : عبد الفتاح محمد الحلو . ط : دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه . ط : أولى . ١٩٦٨ م .